نعتذر عن أيّ أخطاء املائية أو لغوية و إعرابية

إهداء

إلى

الشامخة كالجبال

و الرقيقة كالهواء

و العطِرة كالياسمين

و العميقة كالسماء

و العذبة كالماء

و الغيورة كاللبوة

و مستحقة الثناء

و نور الحياة

و البدر و الضياء

حبيبتي .....

للأبد ؟

ـ ماذا ؟

ـ ستظل تحبني للأبد ؟

ـ حتى تحترق النجوم وحتى ..

تفنى العوالم ..

حتى تتصادم الكواكب، وتذبل الشموس ..

وحتى ينطفئ القمر، وتجف البِحار والأنهار ..

حتى أشيخ فتتآكل ذكرياتي..

حتى يعجز لساني عن لفظ اسمك..

حتى ينبض قلبي للمرة الأخيرة ..

فقط عند ذلك ربما أتوقف

ربما ..

_ أحمد خالد توفيق

(شــجــرة القلــوب)

قبّـلها

أين؟

تـحـت شجـرة القلوب

لـماذا؟

لأنه يحبها .....

*** *** **** **** *** *** ***

دخل الأب يضرب بولده يونس الذي يبلغ من العمر سبع سنوات ضرباً قاسياً

مع رزمة من الشتائم أمام جميع الأقارب

لماذا؟

لأنه طلب كيساً من البطاطس ....

في الواقع كانت علاقته مع والده سيئة إلى حدٍ ما ... فـيونس قد وُلِدَ في وقتٍ غير مناسب ، فقد وُلد في ذات اليوم الذي تُوفيَ فيه جده والد أبيه فاعتبره أبوه شرّاً له و سيجلب الحظ العاثر ، كما أن يونس كان طفلاً كثيرَ البكاء فقد كان لا يكفُّ عن البكاء أبداً على عكس الأطفال الباقين مما دفع أمّه في عدّة مرات أن تضعه في غرفة مظلمة و تقفل عليه الباب لساعات و قد نما كره أبيه و أمّه له منذ أن كان طفلاً في المهد

نام يونس الصغير تلك الليلة وهو يبكي من فعل أبيه

كان ذكياً ولكن عائلته لم تكن تحبه، كانا الأم والأب يحبان أخويه مصطفى وسالم أضعاف

حبهم له كان الأكبر بين أخوته وكان الأفضل بينهم ولكن الأهل لم يكونوا عادلين،

كانوا يضربون يونس و يحرمونه من حقه كطفل من الألعاب و الحلوى و في المقابل يشترون لأخويه ما اشتهى قلبهم من الطعام و الألعاب ... لم يكن يلجأ لأحد،

ليس لديه ملجأ إلا جدته أم أبيه ، كانت تحبه كثيراً وكثيراً ما تقول إن معاملة أهله

له قاسية وكانت تعتني به أفضل من أمه و تدافع عنه دائماً ، فقد كانت البيت الحنون له و تعرف في قرارة نفسها أنه طفل ذكي و سيكون له مستقبلٌ مختلفٌ عن ذويه ... الجدة هي دار أمانٍ و حنان لأحفاده .. فيا لساعدة كلُّ مَن يمتلك جدة ما زالت تعيش حياتها و ما زالت على قيدها

يونس

العمر: عشر سنوات

استيقظتُ على صوت أخوَيَّ اللذان يقصدان رفع صوتهما لكي يزعجاني فقد كانا مثل أبي و أمي دائمان الكره لي دون سبب

بينما سمعت صوت ارتطام بعض الصحون الزجاجية ببعضها البعض في المطبخ

مع صوت الماء (أمي كانت تغسل الصحون)

مشيت ببطء إلى المطبخ و سألتها و أنا أفرك عينيّ:

- هل سنذهب اليوم إلى المزرعة مع الخالة سلمى ؟
- نعم ، بعد ساعة من الآن
- إذن سأرتدي ثيابي
- أرتدي ثيابك و بعدها نظف الأرض من الاوساخ و رتّب غرفتي و غرفة إخوتك

هززت رأسي بانزعاج و مشيتُ و فعلتُ كما أمرتني أمي

بينما كنتُ أنظّف كانا أخويَّ يلعبان و يصرخان و يضربان بعضهما و أنا ماذا أفعل ؟

أنا أنظّف البيت .....

بعد ساعة نزل يونس الدرج ثم وضع أغراض رحلتهم بسيارة التاكسي

و صعد بجانب السائق و بعد أن وصلوا إلى المزرعة بنحو ساعتين ،

كانتا الأُمّين تحضران الطعام

كان مصطفى و سالم يلعبان مع إياد ابن الخالة سلمى الأكبر

بينما كان يونس يجلس بجانب أسيل تحت شجرة من أشجار الزيتون

كانت هذه الشجرة جميلة جداً ، كانت كبيرة و مميزة عن باقي الأشجار الأخرى .. و تحت السماء الصافية و الغيوم البيضاء المتداخلة التي تسير راكبةً الهواء كأنها سفنٌ تسير على الماء كان يتبادل يونس و أسيل حديثهما

يونس :

_الطقس اليوم جميل

_نعم هو كذلك

_ هذا الطقس يناسب عاشقين يهيمان ببعضهما

ثم أردفَ بعد ذلك :

هل أحببتِ من قبل ؟

- نعم
- مَن ؟

قالت محاولةً أن تغيظه :

- ليس من شأنك
- حسناً كما تريدين

و استحوذ الصمت على المكان ،

كانا يحبان بعضهما فعلاً ، منذ أربع سنوات شعرا بنبض قلوبهما ،

كانا في السادسة عندما أحبا بعضهما ولكن لم يعترف أحد للآخر

إلا أن نظرات الأعين لا تخلى من الإعجاب و الحب

كانت أسيل أصغر من يونس بسنتين و كانت ذات شعرٍ بنيٍّ طويل يصل إلى أسفل ظهرها .. و بشرة بيضاء و طول متوسط ، ليست بالطويلة و لا بالقصيرة

بعد سنتين ، كان عمر يونس 12 سنة

بينما كان يحدّث أسيل عبر الهاتف تعمقا بالحديث وفجأة !!

يونس:

- قلتِ لي مرةً أنكِ قد أحببتِ ، هل يمكنكِ أن تخبريني مَن أحببتِ ؟
- لماذا أنت مهتم بهذا الموضوع
- لا شيء سِوى الفضول
- امممم ، حسناً
- هيّا أخبريني لمَ صمتِ
- أخبرني أنتَ أولاً ، هل أحببت من قبل؟
- نعم
- أخبرني إذاً مَن أحببتَ
- عندما سألتكِ ذات السؤال لم تخبريني ، كيف تطلبين منّي أن أخبركِ الآن ؟
- أنا أنانيّة ، هيّا أخبرني هل قلتَ لها أحبّكِ؟
- لا ، ليس بعد
- حسناً ، متى ستقولها
- أحبُّكِ
- .....
- أحبُّكِ
- و أنا أيضاً

من كان يتوقع أن يعترفا لبعضهما وهما في هذا العمر!

لكنهم صغار، هذا هو المبرر الوحيد

قضيا سنيناً مع بعضهما، أحبّا بعضهما فعلاً

يونس:

كنت جالساً وسط عتمة غرفتي أشاهد مقطعاً على يوتيوب

فسمعتُ صوت الباب يُطرق ، فتح أخي مصطفى الباب ودخل أحدٌ البيت لم أره

مَن الذي أتى يا ترى، ذهبت لأرى من الذي أتى منزلنا فشعرتُ عندها بنبضات قلبي

كالطبل الذي يُضرَبُ في الحرب عندما رأيت وجهها الملائكي

من كانت؟

إنها أسيل!

قد أتت مع أمها

أحبّها أكثر في كل مرة أراها، في كل مرة أحدثها، في كل مرة أتذكرها

دخلتُ إلى الغرفة بارتباك شديد، نعم فإذا قابلتَ مَن تحبُ فجأة دون أن تكون مستعداً

سترتبك وتخجل.

لا أعلم ما كان شعوري في تلك اللحظة فكل ما أعرفه أنه عبارة عن نسيج بين الخوف

والارتباك والخجل والفرح والتوتر

هل يمكن أن نقول إنني مختلط المشاعر؟

جلستُ على أريكة قريبةً منها بعد أن سلّمتُ عليها طبعاً ولكن ليس بالكلام أو الأيدي ،

بل بالأعين (إنها لغةٌ صعبةٌ عليك فهي لغة العُشّاق)

جاءت أمي وبدأت تحادث (كنّتها المستقبلية) دون أن تعلم أنها كذلك

وبعد نصف ساعة ذهبتْ أمي إلى المطبخ برفقة أم أسيل ، فاقتربتُ من أسيل و قلت لها:

- ما رأيك أن نذهب لنلعب في غرفتي؟
- حسناً، ولكن ماذا سنلعب؟
- امممم ، لا أعلم ، لنقل ما يلعبه الصغار

هزّتْ برأسها ومشينا إلى غرفتي، أتى مصطفى وتبعه سالم

وجلسنا نلعب الغميضة

نعم نحن صغار لا نفهم بأمور الحب والعشق، لا نعرف كيف نغازل لا نعلم أي شيء

فقط كنّا نشعر عند تواجدنا سويةً بقلبينا يضربان بقوة وحب أن نبقى جنباً إلى جنب

لماذا؟

لـكي نلعب ....

بعد سنة 2/1/2021

يونس

استيقظت صباحاً لأذهب للمدرسة ، و ذهبت الى المطبخ و بدأتُ أعدُّ الفطور و من ثم تناولته و ارتديتُ ملابسي

جلستُ على الأريكة منتظراً أن يحين موعد ذهابي ، نظرتُ إلى هاتفي الّذي كان موضوعاً على طاولة كانت أمامي

و بدأتُ أفكّرُ بأسيل ..

في الحقيقة لاحظتُ في الأيام الاخيرة أنَّ أسيل تغيّرتْ عليّ ، لا أعلم ما بها و لكنّي كلّما اقتربتُ منها ابتعدتْ ، و أصبحتْ لا تحادثني أبداً

كنت أقنعُ نفسي مراراً و تكراراً بأنَّ تصرفاتها طبيعية و أنّي أتوهم لا أكثر مع أنّي أعلمُ في قرارة نفسي أنّها ليست كذلك

و بينما كنتُ أحادثُ نفسي رنَّ هاتفي مُعلناً عن وصول رسالة إليّ

أمسكتُ هاتفي و قرأتُ الرسالة ، كانت الرسالة من أسيل :

- أريدُ أن أنفصل عنكَ
- عفواً ، لم أفهم
- أريدُ أن أنفصل عنكَ ، لا أريدُ حبَّكَ بعد الآن
- لماذا؟... لماذا بعد كل ما فعلناه تريدين تركي الآن؟
- لا أعلم

- لا تعلمين؟ هل كان حبكِ لي صادقاً؟
- لا أعلم

رميتُ الهاتف من يدي و أنا أكادُ لا أصدّق ما قرأتُ

انتهت المحادثة إلى هنا، لقد حطّمتْ أسيل علاقة حبها ... لماذا؟

لأنها لا تعلم.

و عندما هبطَ جناحا اللّيل و غطّى الظلام الأفق و بدأتْ تهبُّ نسماتٌ ليليّة لطيفة و ظهرَ بدرُ الدُجى

رمى يونس نفسه على سريره الدافئ، بدأ يتذكر كل ما حصل في السنوات الأخيرة،

لقد ارتبطَ باّلتي يحبها وعاشَ بعدها علاقة حبٍّ دون أن يكون فيها مغازلة أو ملامسة،

كانوا يلعبون فقط. ثمَّ الآن انفصلوا

- هل هذه نهاية قصتي؟

راحتْ عيناه تذرف الدموع وتُمطر على جفنيه قطرات المياه المالحة

إنّه صغير، إنّه طفل، ولكن القلوب لا تكبر، هي صغيرة دائماً

تُجرح بسهولة وتُفرح بسهولة

دامَ يونس يذرف ماء عينيه المالح كلّ ليلة، إنَّ هذا الماء لا ينفذ

دامَ يونس يُراجع صفحاتَ ذكرياته طيلةَ تسعِ أشهر

دامَ يونس يطلبُ منها أن تعود طيلة الأشهر

أصبحَ مظهره في منتصف الليل كمصّاص الدماء

حبلٌ من السواد تحت عينيه ، عينان محمرّتان ودموعٌ جافّة على الخدّين

أحياناً يجبُ عليكَ أن تصمد رغمَ نزيفك ... ربما تكونُ آخرَ مَن تبقى من الورود .....

قد يسخرُ البعضُ مِن حبّ الطفولة و لكن الحقيقة هي أن أصدق حبٍّ هو حبٌّ بدأ من الطفولة و نما معنا كنموّ الجسد

.... بعدَ أشهر

كان يونس مستلقياً على سريره يتأمل سقف غرفته و ينتظر أن يمرَّ الشتاء لأنه دائماً ما كره هذا الفصل .. فصلٌ تنام و لا تستطيع النهوض بعدها و فراقَ فراشك الدافئ ، فصلٌ تمطرُ سُحُبهُ على رأسك و تعطيك حمّاماً بارداً ، فصلٌ لا يُميتُ كآبته غيرَ حبيبٍ بجانبك طوالَ الوقت و لا أظنُ أنَّ هذا سيحدث ...

و هنا

سَمِعَ صوتَ خطواتٍ على درجِ البناية ، لم تكن خطوات

عادية ، فهذه الخطوات قد نبض لها قلبه .....

- هل هذه أسيل ؟!

قفز من مكانه و ركض نحو الباب وهرع خارجاً من المنزل ، عندها التقى بها

تلاقتْ العيون لثوانٍ معدودة ، تبادلا النظرات التي تملؤها الغموض

اندفعَ يونس نحوها مريداً لأول مرّة احتضانها ....

وضع كفّيه على كتفيّ أسيل

كان يقترب منها أكثر شيئاً فشيئاً

دفعته أسيل عنها بكل قوتها ....

حاول احتضانها وهو يلقي جميع أنواع كلمات الرجاء و الحنين والشوق والمطالبة بعودتها التي تخطر بباله.

ولكن جميع محاولاته وكلماته لم تنجح .... دفعته أول مرة والثانية ثم تبعتها الثالثة والرابعة والخامسة ....

ابتعدتْ عنه وتركته وحيداً، وحيداً غارقاً في بحر حنينه،

إنه صغير ولكن من قال أن الصغير لا يُحب قلّبه و لا يشعر بفقدان محبوبته؟

نعم الكبار هم من قالوا هذا، الأهل هم من اخترعوا هذه الترّهات

عاد إلى منزله و استسلم لقدره ..

وفجأة بعد شهرين قُلِبَتْ اللعبة رأساً على عقب

كانت تتوسل إليه أن يعود لها و هو كان يرفض !!

ماذا حدث، كيف قُلبتْ اللعبة هكذا؟

إنه سر .....

فلنرجع في الزمن إلى قبل شهور:

كان طيلة السنة يشكو ألآمه لصديقه المقرب، صديقه جواد

كان جواد صديق الطفولة، كان جواد بيت أسرار يونس

كان لا يخلو من أسرار لا يعلمها أحد غيره

كأنهم شخصٌ واحد !!

يونس:

استيقظت صباحاً وكعادتي أمسكت بهاتفي فكانت أسيل قد قامت بوضع حالة على الواتس آب فتحت حالتها لأرى أنها عبارة عن مقطع مُصمّم،

لحرفيّ الـ ـ A(أسيل) والـ ـ J

- مقطع حب لحرفها وحرف لا أعلم صاحبه ؟!

هل وجدتْ البديل بهذه السرعة، بالعادة يُقال (عجوز شمطاء)

ولكن هذه تستحق جملة (شابة شمطاء)

- لقد خانتني الحثالة

أرسلتُ لها رسالة وبدأت المحادثة:

- من هو صاحب الحرف (J) ؟؟
- ليس من شأنك
- بل من شأني لما الخيانة؟ لما الكذب، إن لم تكوني قد أحببتني لماذا كذبتِ؟
- ليس من شأنككككككككك !!
- أنتِ خائنة

رميتُ هاتفي من يدي و جلست أفكّر من قد يكون صاحب هذا الحرف اللعين !

ثم نظرتُ إلى الساعة فوجدتها الساعة الثانية ظهراً

ماااذاا ، هل نمتُ كلّ هذا الوقت

هرعتُ إلى خزانتي و بدلّتُ ثيابي و حملتُ حقيبتي و صرختُ و أنا أغادر البيت

- أمي أنا ذاهب للمعهد الدراسي

لم ترّد الأم، كانت لا تحب أن تتكلم معه إلا بالكلام الفظ .

بينما كنت أمشي بطريقي إلى المعهد رأيت طائرا دوري يلفّ كلٌّ منهما رقبته حول رقبة الآخر،

كان هذا يُشعر بالدفء فعلاً في هذا البرد القارس وصلتُ المعهد،

دلفتُ إلى الصف و جلست على أحد كراسي المقاعد بينما كان الأستاذ يحضّر أقلامه ليبدأ درسه،

و بعد دقائق دلفَ جواد إلى الصف و من ثمَّ أجالَ ببصرهُ باحثاً عن مكانٍ فارغ فوقعت عيناه على مقعدي فتقدم نحوي و جلس بجانبي :

- مرحباً يونس
- أهلا جواد ، مالي لم أركَ اليوم أمام المعهد تنتظرني
- كان لدي بعض الأعمال
- حسناً يبدو أن السيد جواد لديه شركات !!

بعد أن خرجنا من المعهد نزلنا الدرجات الطويلة التي تبدأ من باب المعهد

- إلى أين تنوي الذهاب يا جواد
- سأذهب إلى المنزل
- وأنا كذلك، فلنذهب سوياً إذاً

- حسناً كما تريد

مشينا وتبادلنا أطراف الحديث

- كيفَ حالك مع حبيبتك المدللة

تجهّمتُ و قلتُ بحزن :

- لقد انفصلنا

نظرَ إليّ بوجهٍ غريب :

- حسناً ، لديك مليارات الفتيات الأخريات في هذا العالم ، اتركها و لا تطالب بعودتها

لاذ صمتٌ قاتل بعدما أكمل جملتهُ

حتى ودّعنا بعضنا وافترق كلٌّ منّا في جهة .....

و صلتُ البيت ، لم يكن فيه أحد ، فوالديّ في العمل و إخوتي في المدرسة

رميتُ بجسدي على سريري الدافئ ، و لكنه لم يكن دافئاً هناك شيء ناقص

أو بالأحرى (شخصٌ ناقص) عرفتم من هو صحيح ؟

قلتُ في نفسي : لن أحادثها و لن أشعرها بحبي أو حنيني مرّة أخرى

و بعد خمس شهور

جاءتْ تتوسل عودتي .. نعم إنّه الله قد قلب اللعبة ضدها

طبعاً رفضتُ أن أعيدَ علاقتنا فقد سلمّتها قلبي سابقاً ورأيتم ما فعلتْ به

بعد أيام ذهبتُ لصديقي جواد

طرقتُ باب بيته ففتح لي بعد ثواني

- أهلاً يونس تفضل

دخلتُ البيت ودلفنا إلى غرفة جواد، جلس جواد بجانبي على الأريكة قائلاً:

- ماذا تفعل في هذه الأيام وكيف هي علاقتك بأسيل
- لقد قُلبتْ اللعبة يا صديقي، فهي الآن تريدني وأنا لا

قال في مكر ظهر على عينيه:

- حسناً اتركها فتذكر أنها قد كسرت قلبك

قابلتُ مكره بمكرٍ مني:

- لا أظن أنني سأفعلها، فلن أترك غيري يأخذها حتى لو كان أعزّ صديقٍ لدي

شعرتُ بانزعاجه وهمّ بمغادرة الغرفة:

- سأعود خلال دقائق

هززتُ إيجاباً رأسي مع ابتسامة خفيفة

دخلتْ روان أخت جواد، كان يونس يعرفها منذ أن

كان صغيراً ولكن هذه المرة الأولى التي يلاحظ بها أن قلبه

قد نبض لها، كيف هذا !!

طبعاً الجميع يعرف ماذا سيحدث، ستسلّم عليه روان ويرد سلامها ويتبادلان أطراف حديثٍ غير مهم ثم يهمّ يونس

بالوقوف ويودّع أصدقاءه ويرحل ....

عدتُ للمنزل بعد أن شعرتُ بهذا الإحساس المفاجئ

لم أكن أريد أن أتنصتْ على أحد، ولكن بالصدفة سمعتُ حواراً كان يدور بين قلبي وعقلي:

- أرأيت روان اليوم أظن أنني أحببتها وأريد أن أعتـــ

قاطعه عقلي قائلاً بغضب:

- كل يوم توقعنا في مشكلة جديدة ، كفاك حبّاً أيها الضعيف

- و لكنّي لا أستطيع ، أريد أن أعترف لها بحبي
- هل أنت مجنون ! إنَّ جراحك لم تُشفى مِنَ الضربة الأولى !!
- نعم إنها قيد الشفاء و هذه أنا متأكد أنها ستُسرّع هذه العملية
- و ماذا إنْ كانت هذه هي الضربة الثانية ؟ عندها ستُكسر و يزداد الجُرح عمقاً !!
- نعم و لكن في الحالتين ستعيد جراحي شفاء نفسها
- افعل ما تشاء ، و لكن الذي سيحدث لك ليس لي علاقة به بأي شكل من الأشكال
- حسناً سترى كيف أنني على حق

عندها التقطتُ هاتفي و أرسلتُ لجواد رسالة :

- مرحباً جواد، هل أنت مشغول في الغد ؟
- أهلاً يونس ، في الواقع لا ، و لكن لماذا تسأل ؟
- إذاً ما رأيك أن نتجول قليلاً غداً مساءاً
- حسناً كما تريد.

.....

استيقظتُ على صوت ليسا (قطتي) كانت تحوم فوق رأسي مطالبةً إياي طعام الإفطار

- كيف حالكِ ليسا، هل أنتي جائعة؟
- مياو
- أظن أن هذا معناه (نعم)

أزحتُ ليسا عن رأسي ووقفتُ وأنا أفرك عينيَّ، مشيتُ حتى

المطبخ بهدوء وليسا ورائي

وضعتُ لها الطعام في طبقها

المقعّر ومن ثم ذهبتُ لغرفتي وأكملتُ قراءة كتابي (رواية مئة عام من العزلة)

لغابرييل غارسيا ماركيز

فأنا مولع بقراءة الكتب و دواوين الشِعر

و عندما حلَّ المساء ارتديتُ ثيابي وذهبت إلى بيت جواد، طرقتُ الباب ففتحتْ روان:

- مرحباً يونس
- أهلاً روان، هل جواد هنا؟
- نعم، ولكن إلى أين أنتما ذاهبان
- سنتجوّل قليلاً، هناك عند المقاعد المصطفّة فوق الرصيف إذا أردتي فالتأتي معنا
- أوه حسناً فكرة جيدة، سأرتدي ثيابي وآتي خرج جواد وقال لي وهو يرتدي حذاءه:
- هيّا فلنذهب
- لا إنَّ روان ستأتي معنا علينا انتظارها
- ماذا !! ولماذا ستأتي ماذا تريد أن تفعل معنا

قالها بانزعاج، فقلتُ له:

- لا بأس روان ستأتي معنا في هذه البضع ساعات ماذا من الممكن أن يحدث !؟

سكتَ و وقف منتظراً

بعد خمس دقائق أتت روان و ارتدت حذائها و مشينا

حتى وصلنا إلى المقاعد ، جلسنا عليها و بعد قليل ذهب جواد لكي يكلّم أحد أصدقاءه :

- هيا يا يونس الآن هي فرصتك يجب أن تعترف لها

كان هذا قلبي الذي يحدثني

- روان
- ماذا ؟
- هل تعلمين ، بدأتُ أشعر أنّني أقع في غرام فتاة
- هذا جيد و من هي ؟
- أريد قبل أن أخبركِ من هي ، أن تعطيني رأيكِ
- في ماذا سأعطيك رأيي ؟
- حسناً ، هي فتاة قريبة مني ، أقصد أنها إحدى أخوات صديقي و أظن أنني بدأت أحبها فما رأيك هل أعترف لها بحبّي ؟
- إذا كنتَ تحبها فاعترف لها
- حسناً في هذه الحال سأعترف لها الآن

- الآن ؟ أين هي ؟

_ هي الآن أمامي

- ماذا !!!
- روان أنا أحبّكِ

سكتت قليلاً و أنزلتْ رأسها خجلاً ، و أنا أحاول إخفاء ارتباكي

عندها نظرتُ لساقي اليسرى فرأيتها ترتجف من التوتر و

الخوف دون أن أشعر بها

- حسناً أنا أحبُّكَ أيضاً

عندها أنفرجتْ أسارير وجهي و قلتُ مع ابتسامة سعيدة ظاهرة على ثغري :

- أريد أن أرتبط بكِ ، فهل أنتِ موافقة ؟
- هزّت رأسها إيجاباً قائلة :
- نعم يا حبيبي

عندها ضحكتُ بسعادة شديدة

و قلتُ لها بعد أن تأخر جواد :

- ما رأيكِ أن نذهب إلى المقبرة التي ورائنا و ننتظر جواد

فكانت هذه هي وجهتنا الرئيسية

وافقتني و مشينا متجهين إلى المقبرة بيدينا المتشابكة

وصلنا هناك في وحشة العتمة و الظلمة ننتظر جواد

قلتُ لها :

- لماذا أنتِ صامتة لماذا لا تتكلمين ؟
- قالت في خجل لا أعلم
- قلتُ لها يبدو أنكِ خَجِلة ، سوف أكسر حاجز الخجل هذا

- وكيف ستقوم بكسره ؟
- هكذا .....

عندها اتجهتُ نحوها و وضعتُ يديَّ وراء ظهرها و عانقتها

بقوة ، عندها شعرتُ بالرجفة البادية عليها و تسارع أنفاسها ،

أظن أنَّ هذا من كثرة الخجل

- أحبُّكِ

قالت في رجفة في صوتها مع تسارع أنفاسها :

- وأنا أيضاً

عندها ابتعدتُ عن جسدها الذي كنت أعانقه قبل ثوانٍ

قالت و هي تأخذ أنفاسها المتسارعة مع فقد توازنها تقريباً :

- لا أعلم ما بي، يكاد يُغمى عليّ

فأمسكت بها وأجلستها على حافة إحدى المقابر وهدّأتُ من روعها وخجلها الزائد

عندها جاء جواد:

- هيا فلنذهب، لقد بحثتُ عنكما كثيراً
- كنا ننتظرك هنا لأنك تأخرت
- حسناً هيا نقرأ الفاتحة على بعض قبور أقاربنا و نذهب

ونحن نقف أمام إحدى القبور و نقرأ الفاتحة لصاحبه ، نظرتُ لها مع ابتسامة و بادلتني النظرة ذاتها

عندها بدأتُ أسمع الشجار الذي يدور داخلي :

- أرأيت كيفَ أنّها ستكون سعادةً لي و لك؟
- لم يحدث شيء بعد ، فكل ما يحدث الآن هو بالنسبة لي تمهيدٌ للضربة الثانية و قوتها ستكون بسبب ضعفك و بسبب تزايد حبَّك لها
- لا ، مستحيل أنا لا أصدق ، فأنت دائماً تُبعِد عنّي الأشياء التي تجلب لي السعادة

- أنا أبعدك عن ما يجلب لك السعادة !!!

أليس أنت من أحببتَ أسيل و أنا حذّرتك من أنّها ستكون ضربة قاسية ،

وها أنا الآن أحّذركَ من روان فإنّها ستكون ضربة قاسية وأظن أقسى من الّتي قبلها

- أصمت فالبارحة قلتُ لك أنني سأعترف لروان بحبّي و قلتَ لي أنّها ستكسرني

و ها هي أمامي و قد ارتبطت بي

- يا أيها الغبي ، إن لم ترتبط بك لن تكون الضربة قاسية بما فيه الكفاية ،

هي الآن ارتبطت بك و لكن هل ستبقى معك إلى الأبد ؟

- نعم و أنا واثق

أظن أنه يمكننا أن نشبّه القلب بالمرأة ، فإنّه ضعيف و يفعل دائماً الذي يريده دون أن يعلم شيء عن الذي يفعله و نتائج أفعاله و يظن أنّه لا يُخطئ و أنَّ العقل دائماً هو الّذي يُخطئ ،

و يمكننا أن نشبّه العقل بالرجل فهو دائماً يكون أقوى و أعلم من القلب و يعطيه دائماً النصائح و حقيقة الأشياء التي يفعلها و نتائجها و دائماً يكون أكثر حكمة من القلب

نعم فإنّ الله خلق الذكر و الأنثى ليس فقط في البشر بل أيضاً في الأشياء الأخرى

مثل القلب و العقل ، السماء و الأرض ، الشمس و القمر ، الموت و الحياة

عدتُ للمنزل و ألقيتُ نفسي على السرير و سلّمتُ للنوم روحي

و عندما استيقظت وضعتُ حالة على واتس آب إعلاناً

بارتباطي بروان للأصدقاء ، بعد خمس دقائق أرسلتْ أسيل رسالة :

- هل خنتني ؟
- ماذا تقولين أنتي التي خنتني في البداية و أنا الآن ارتبطت بغيركِ
- اتركها أيها الخائن اتركها
- ألستِ مرتبطة بصاحب ذاك الحرف ؟
- لا أنا كنتُ أكذب طوال الوقت لم أرتبط ، كنت أضع هذه الحالات لكي أغيظك فقط

- و ها أنتي الآن خسرتي ألّذي تحاولينَ إغاظته ،

إلى اللقاء و أتمنى أن لا يكون هناك لقاءٌ قادمٌ بيننا

(في الحقيقة كنتُ أعلم أنّي لا أحبُّ روان حبّاً حقيقاً و إنما أحاولُ أن أملأ الفراغ ألّذي تركتهُ أسيل)

لقد مضى على ارتباطي بروان خمسُ أيام و أتمنى أن تكون

الآن في المنزل ، طرقتُ باب بيت جواد ، ففتحت لي روان:

- أهلاً يونس ، و قالت هامسة (أهلا بحبيبي)
- هل جواد هنا ؟
- نعم تفضل بالدخول

دخلتُ البيت و من ثم دلفتُ إلى غرفة جواد و روان ، قالت لي روان :

- إنَّ جواد يستحم ، سينتهي بعد قليل
- حسناً

جلستْ روان بجانبي ، و كانت تدرس

- اسمعي أريد أن أطلب منكِ طلباً
- ماذا؟
- أريد أن لا تقتربي من شبّانٍ غيري
- لا أستطيع ، و ليكن في علمك لا أحب أن يتحكّم أحدٌ بي
- هذا ليس تحكماً ، إنّ الحبيب يغار على حبيبته و كذلك هي
- لا ، هذا اسمه تحكّم
- هل تقبلين بأن أتكلم مع فتاة غيركِ؟
- نعم ولكن أن تحبها لا

سمعتُ عقلي يقول لقلبي:

- هذه حتى الغيرة لا تعلم معناها و تقول لي ستسرّع شفاء جراحك !
- في كلٍّ منا شيءٌ خاطئ و ناقص و هي كذلك

- لماذا تكذب على نفسك ، عليك أن تعلم أنها لا تحبك أيها الأحمق
- لقد قالت لي أحبُّكَ
- لقد كانت تكذب هي لا تعلم معنى الحب

قلت لها :

- هل تعلمين معنى الارتباط ؟
- قالت نعم و لكن ليس كثيراً
- تخيّلي حبلاً يَصِل بي و بكِ ، مربوطٌ بنا ، هذا الحبل هو

الارتباط ، لا يستطيع أحدنا أن يبتعد عن الآخر ، لا أستطيع أن

أكلّم فتاة غيركِ لأنني مربوطٌ بكِ و أنتِ كذلك ، و هذا الحبل

تزيد متانته و قوته كلّما زاد حبُّ أحدنا للآخر و كلّما زادت

الغيرة على بعضنا ، هذا هو الارتباط

- سأنهي هذا الموضوع بقول (هذا بالنسبة لي تحكّم و لا أريد أن يتحكّم أحد بي)

في هذه اللحظة : قلبي :

- لقد جرحتني روان بهذه الكلمات
- أيها الأحمق ، الّذي يحبُ شخصاً فعلاً يصبح لا بأس عنده أن يتحكم به

و أما الغيرة فهي شيء طبيعي و ليست بتحكّم

- أصمت أنت من قال لك أن تتحدث ؟

بعد عشر أيام ، كان هناك تجمعٌ لأقاربنا في إحدى البيوت ،

و عندما ذهبتُ مساءاً كانت هناك أسيل

طبعاً نظرتْ لي نظرة انزعاج

الساعة التاسعة مساءاً

تلقيتُ رسالة من روان :

- هل أنت تحبني فعلاً ؟
- نعم ولِما هذا السؤال ؟
- لأنك كنت تريد أن تتحكم بي
- أكرر هذا اسمه غيييييييرة و ليس تحكماً بأحد
- أنا بالنسبة لي هو تحكم

تجمدتُ مكاني شارداً و أنا أعيدُ النظر فيما يجري

عندها تذكرتُ جميع ذكرياتي مع أسيل ، كانت تغار عليّ من

الجميع ، كانت تغار عليّ حتى من أمّي ، كانت تبقى منزعجة

منّي لأيام إذا نطقتُ باسم فتاة غيرها ، تذكرتُ جميع ذكرياتي معها.....

- حسناً روان ، ما رأيكِ أن ننفصل
- حسناً كما تريد ، كنت أريد أن اقول هذا

أنهيتُ المحادثة ، و ركضت أبحثُ عنها .. عن حبّي الحقيقي .. عن شريكتي الوحيدة ... و من ثمّ دلفتُ المطبخ الّذي كانت تسوده الظلمة

فوجدتُ أسيل هناك ، كانت تشرب كأساً من الماء ، اقتربتُ

منها و هي مستديرة ، و لففتُ يديَّ حولها ووضعتُ رأسي

على كتفها ، لم تتحرك من مكانها ، تابعتْ غسل الكأس بهدوء

دون أن تنطق بحرف ، عندها كسرتُ حاجز الصمت قائلاً :

- لقد انفصلتُ عنها لأجلكِ

قالت وصوتها يعبّر عن الشماتة

- لماذا انفصلتَ عنها ألم تكن تحبها ؟
- انفصلتُ عنها لأنّني علمتُ أن القدر يريدنا أنا و أنتِ سويةً

بعد عشر دقائق تحسّن مزاج أسيل و بدأت تضحك و تمزح معي

خرجنا أنا و هي و ابنة خالي التي تبلغ من العمر 12 عاماً لكي

ننضف أرض الشرفة ، كان عقرب الساعة يشير على العاشرة و

و خمس دقائق

- اسكب الماء على الأرض يا يونس

أمسكتُ بالماء و سكبته مثلما أمرتني أسيل

حاولتْ ابنة خالي ريما أن تقترب منّي (في الحقيقة ريما كانت

تحبني منذ الصِغَر و لكنّها كانت سمجة جداً ، و كانت تغار

عليّ من أسيل و لكنّي لم أكن أحبّها أبداً ، بالفعل أنا أكرهها)

عندما حاولتْ ريما أن تقترب منّي أكثر من اللازم دفعْتُها عنّي بانزعاج قائلاً :

- ابتعدي

هجمتْ عليّ ضاحكة (ألم أقُل أنّها سمجة) رحتُ أركض هارباً

منها ، فاحتميتُ بأسيل و وقفتُ وراء ظهرها ، فأوقفتها أسيل

و قالت لها بانزعاج و غيرة :

- ماذا تريدين منه
- لا شأن لكِ
- اتركيه و شأنه و لا تقتربي منه
- سأقترب ، ماذا ستفعلين ؟

عندها تدخّلتُ و وقفتُ أمام أسيل قائلاً لريما بتحدي :

- اقتربي

اندفعتْ مقتربة وهي تقول :

- سأقترب ماذا ســـ

قبل أن تكمل جملتها دفعتُها بقوة أرضاً ، كادت أن تبكي و لكنّها تماسكتْ نفسها

و نهضتْ ثم دلفتْ الغرفة

قالت أسيل و الغيرة بادية عليها :

- هل تحبها ؟
- طبعاً لا
- إذاً لماذا كانت تقترب منك ؟
- هي تحبني و أنا لا

عندها اقتربتْ منّي و قالتْ :

- إيّاك أن تدعها تقترب منك ، فأنتَ لي وحدي ، مفهوم ؟
- حسناً كما تريدين
- مفهووووم ؟؟
- نعم مفهوم مفهوم

قلتُها مع ابتسامة

بقيْنا قليلاً جالسيْن على كراسي كانت متواجدة في الشرفة ،

أنا و هي فقط ، أراحت رأسها الملائكي على كتفي و نسماتُ

الليل تداعبُ و جهها الناعم و شعرها يتطاير ملامساً وجهي

كان الليل جميلاً ذلك اليوم ، القمر كانَ بدراً و الطقس صحوٌ و الجوُّ ليس حارّاً و لا بارداً و نسمات ليليّة لطيفة تهبُّ و تداعب أجسامنا

أمسكتُ بيدها و شبكتُها بيدي و أنا أحرّك إصبع يدي على يدها

برفق ، قالت بهدوء و حنان و راحة :

- اليوم حُبنا قد صار كلّه في هذا المنزل

فقلتُ و أنا أشعرُ لأول مرّة بهذا القدرِ من الراحة و الأمان :

- و أتمنى أن يصبح قريباً في منزل خاص بنا

ضحكتْ ضحكتها التي عشقتُ سماعها ، لم أعلم ماهية شعوري في ذلك الوقت

و لكن كان مزيجاً من الراحة و الحب و الاسترخاء و الحنان ،

لم أشعر في حياتي بهذا الإحساس الجميل ، أنا متيَّم بحبها فعلاً .....

بعد عشرين دقيقة دلفنا إلى المنزل ، لعبنا قليلاً أنا و أسيل و ريما

ثم دلفنا أنا و ريما غرفة النوم بينما كانت أسيل تختبئ

قالت ريما :

- لماذا تبقى أنت و أسيل بجانب بعضكما البعض ؟
- و ما شأنكِ أنتِ ؟
- لأن أسيل أخبرتني أنك لست جميل المظهر ، فقالت أنك أسود العينين و الشعر و البشرة
- لكن أنا لون عينيّ هو البنّي و شعري أيضا ليس بأسود بل هو أشقر و بشرتي بيضاء !!
- لا أعلم و لكنّها قالت هذا

فتحتُ الباب بانزعاج خارجاً من الغرفة و بعد أن بحثتُ عن أسيل المختبئة ،

و جدتها و قلتُ أنه حان دور ريما لتختبئ

دلفنا أنا و أسيل الغرفة ، قلت لها :

- هل هذا صحيح ؟
- ما هو ؟
- الكلام الذي قلتهِ عنّي أنّني غير جميل المظهر
- أنا لم أقل عنكَ شيئاً
- لا تكذبي ريما قالت لي
- أنا لا أكذب و بالمناسبة ريما قالت لي أنك قلت عن و الديّ كلاماً سيئاً ثم أسأت إليّ
- أنا لم أفعل هذا !!!
- إذاً هي تكذب
- الآن فهمتُ ، إنها تحاول إبعادنا عن بعضنا ، و لكن هذا أقرب إليها في أحلامها

اندفعتْ أسيل بغضب نحو باب الغرفة :

- حسناً سأريها
- لا ، لا تفعلي شيئاً ، دعيها تفعل ما تشاء ، المهم ألّا نهتم لأمرها و أن نتجاهلها

هزّت رأسها إيجاباً ، ثم احتضنتها بين ذراعيّ ، بعد ثوانٍ حملتُها إلى السرير ،

و غطيّتُها باللحاف و استلقيتُ بجانبها و أنا أضمّها إلى صدري ، قالت :

- أريد أن أنام و أنا بين ذراعيك
- هذا حلمي و لكن ليس معنا إلا دقائق قليلة و تكون ريما قد اختبئتْ

عندها طبعتُ قبلة على جبينها برفق ، قالت لي بابتسامة :

- تخيَّل لو رآنا أهلنا في هذه الوضعية
- لكنّا الآن أسفل قبورنا
- هذا أفضل ، أن نموت معاً أفضل من أن نفترق عن بعضنا .

انتهت تلك الليلة التي لن أنساها أبداً .....

بعد شهر من تلك الليلة الدافئة ، دخل يونسٌ بيته بينما لم يكن فيه أحد من عائلته .

بينما خطرتْ له فكرة ، فكرة مخيفة ، خطر له أن يجرّب التحدث مع شيء مخيف ،

شيء يخاف الناس ذكره ، خطر له أن يحاول التواصل مع الجن ،

فقد قرأ كتاباً ذُكِر فيه طريقة التكلم معهم .. خطرت له هذه الفكرة بعد أن وجد نفسه وحيداً و مكروهاً من أهله و من إخوته و مكروهاً من جانب الاصدقاء لأنّه لم يكن يحبُّ مجتمعه و الجهل الذي يعمّهُ

فبعد أن بحث كثيراً على الانترنت عن كتاب فيه طريقة للتواصل مع الجن وجدهُ عند أحدِ كبار السن الّذي ورثهُ عن جدّه

فذهب إليه و اشترى منه الكتاب و قرأه

دلف إلى الحمام بعد أن قام بإطفاء جميع مصادر الضوء الكهربائية التي في المنزل ،

و قام بإطفاء ضوء الحمام و وقف أمام المرآة الّتي فيه ، قام بإشعال نار الشمعة

و قرّبها من المرآة ، و بدأ ينظر في انعكاسه الذي يظهر فيها .. خلال الدقيقة الأولى لم يحدث شيء

و لكن بعدها بثواني بدأ وجه انعكاسه يتغيّر ، بدأ يكبر في السنّ و تظهر له تجاعيد و بدأتْ تتغيّر ملامحه عندها بدأ الوجه يبتسم ابتسامة ليست بمريحة ،

مع خوف يونس الشديد بقيّ متماسكاً و قال و الرجفة في صوته :

- من أنتَ ؟

ردّ انعكاسه ، أو بالأصح ردّ قرينه :

- أنا قرينك
-

تماسكَ يونس نفسه و قال :

- حسناً ، كيف لي أن أحدّث الجن أمثالك ؟
- إن أردتَ سأجعلهم يحدّثوك

عندها فجأة من اللامكان ظهرتْ أمامي مخلوقات لم أرَ مثلها في حياتي ،

كان هنالك أنواع منها ، فواحد منهم كان يصل طوله لمترين و نصف و يبدو كأنه شجرة من دون أغصانها و جذورها ، و الآخر كان أنثى ، بشرتها حمراء اللون و عيناها سوداوان و كانت نحيفة و ليس لديها شعر ، بل إن رأسها ينفرج إلى جذوع أو أشواك ثخينة ، و يديها كذلك الأمر ، و أما الثالث فكان يشبهنا و لكنه أبيض بشكل مبالغ فيه مع خطوط سوداء متعرّجة بادية على جسده و وجهه كأنها كسور ، عيناه سوداء اللون و فمه كذلك ،

كان يرتدي لباساً رسميّا خاصاً بالمناسبات ، كانوا بالفعل مخيفين :

- هل أنتم من الجن ؟

نظرتْ نحوي الجنيّة ذات الرأس الذي يخرج منه تفرّعات تشبه أغصان الأشجار أو أشواك ضخمة و قالت :

- نعم ، و لماذا أردتَ الحديث معنا ؟
- أريد أن تكونوا أصدقائي

- و لماذا شابٌ في عمرك يريد من الجن أن يصبحوا أصدقاءه
- لأنه ليس لديه أصدقاء من البشر ، حتى عائلته تكرهه
- حسناً ، نحن نحبُّ هذا النوع من المراهقين الذين خُذِلوا من بَني جنسهم فلجؤوا إلى الجنس الذي يخاف منه مجتمعهم ، إذاً من الآن نحن أصدقائك ، و الأصدقاء يُلبّون طلبات صديقهم ، فهل لديك طلب ؟

فكرّتُ ملياً ثم قلتُ :

- نعم ، أريد أن أعرف ما سبب تركُ أسيل إيّاي في السنة السابقة
- حسناً ، بضع دقائق و سنقوم بإعلامك سبب تخلّيها عنك

و في لمح البصر

كأنّهم لم يكونوا هنا منذ قليل ، اختفوا بسرعة رهيبة

بصراحة بعد أن حدّثتُهم لم أعد أشعر بذلك الخوف الذي كان يُهيّمن عليّ قبل بضع دقائق

حملتُ الشمعة الّتي وضعتُها أمامي و فتحتُ باب الحمّام و خرجتُ منه ثم قمتُ بإطفائها

و اتجهتُ نحو المطبخ و أنا في قمّة فرحتي أنّي نجحتُ بالتحدث مع هذه المخلوقات الّتي دائماً ما أخبرونا بالقصص و الخزعبلات الّتي تجسدها على أنها شريرة و عدوانيّة و قاتلة و ليس لها عملٌ غير تخويف البشر و قتلهم و في نفسِ الوقت كنتُ متوتراً من معرفتي سرّ انفصال أسيل عنّي لأنّي كنتُ خائفاً من كونِها قد أُعجبتْ بغيري و أنّها قد تخلَّتْ عنّي لأجله

بعد قليل كنت أحضّر فنجاناً من القهوة ، عندها ظهر أحدُ الجان الّذي أفزعني مظهره .. فقد كان طويلاً و لديه جناحين على ظهره و يطغى على لون بشرته اللون الأحمر ،

و قال بصوته الذي يشبه فحيح الأفعى :

- انفصلتْ عنك لأن جواد قال لها أنك تحب أخته وقال لها

عدة أشياء كاذبة عنك ومن ثمَّ اعترف لها بحبه وهي وافقت أن ترتبط به بعد أن عرضَ عليها الارتباط

- ماااااااااااااااذا ؟؟؟؟. هل جواد فعل ذلك حقاً ؟

- نعم ، و بعد عدّة شهور وجد جواد غيرها فانفصل عنها و عَلِمَتْ أسيل وقتها أنه خدعها

قلتُ و أنا قد طغتْ على وجهي ملامح الصدمة

- و لكن في ذلك الوقت الّذي كنتُ فيه مرتبط بأسيل لم أكن أُبدي أيّ إعجاب بـروان !!

- نعم فقد كذب

عندها أدركتُ في نفسي أن القدر جعلني أحبُّ أخته لأنّه أحبَّ حبيبتي و سرقها منّي ،

نعم فإن الله لا يَدَعُ مظلوماً دون أن يَرُدّهُ حقه ، العين بالعين و السن بالسن

و أنت الذي بدأ يا جواد أقسم أنني سأنتقم منك

عندها قلتُ لنفر الجن :

- ما اسمك ؟
- مِقلاص
- حسناً يا مِقلاص ، أريد منك أن تعرف لي إن كان جواد قد عاد لحبيبته القديمة أم لا
- حسناً

اختفى مِقلاص لثوانٍ ثم ظهر قائلاً :

- نعم لقد عاد لحبيبته القديمة
- حسناً شكراً لك

ركضتُ مُسرعاً إلى غرفة الجلوس و التقطتُ هاتفي

و بدأتُ أبحثُ عن حسابِ حبيبته القديمة (قمر) ... بالحقيقة ، كانَ من الصعب أن أجد حساب فتاةٍ لا أعلم عنها شيئاً سوى اسمها و الأصعب أن أبحثَ عن حسابها وسط ملايين الحسابات التي تحمل اسم قمر .. و بعد جهدٍ طويل استمر ساعاتٍ من البحث دون كللٍ أو ملل و جدتُها ، كانت تضع صورتها في الحساب (كنتُ على علمٍ بشكلها) فراسلتُها بعد تردد :

- مرحباً ، أنا صديق جواد
- أهلا ، أنا قمر .. كيف أساعدك؟
- في الحقيقة هناك أمرٌ هامٌ أريدُ الحديث به معكِ
- حسناً ، عن ماذا يكون هذا الأمر؟
- إنّه عن جواد ، و أظنُّ أنّه قد يهمّكِ
- حسناً ، تكلَّم إذاً

- في الحقيقة إنَّ جواد يخونك مع حبيبتي
- و كيفَ علمتَ بهذا ؟
- لديّ طُرُقي ، و لكنّي متأكدٌ من المصدر
- أنا لا أعرفك فكيف لي أن أصدقكَ ؟
- أنا صديقه المقرب و ليس لي أيّ دافع لآتي إلى حبيبة صديقي و أخبرها الأكاذيب عنه
- حسناً ، و ما دافعك ؟
- حبيبك يخونني مع حبيبتي و قد خدعها و أخبرها أنّي أخونُها مع أخته .. هل هناك أقوى من هذا الدافع للانتقام منه؟
- هل تقصد أنّك تريد منّي أن أساعدك بانتقامك ؟
- نعم ، فأنا و أنتِ قد خُدعنا من ذات الشخص الّذي كنّا نعطيه كامل ثقتنا
- مع أنّي لا أعرفك و لكنّي أشعر بأنك تقول الحقيقة
- إذاً ، هل ستقدمين إلي المساعدة؟
- نعم
- هل أنتِ جاهزة لنبدأ العمل؟
- نعم ، اعرض عليّ خطتكَ

عندها أعطيتها بعض الأوامر لكي يتم انتقامي و أُخرّبَ علاقة جواد بقمر،

و قلت لها أن تقوم بإنشاء قناة على يوتيوب خاصة بحالات واتس آب

عن حرف الـ(Y) (يونس)

و من ثمَّ التقيتُ جواد و أريتهُ القناة ، و قلت له :

- أظن أنها قد خانتك و أحبَّت غيرك
- حسناً و لكن ماذا سأفعل ؟
- عليك أن تقوم بإنشاء قناة خاصة بحالات الواتس آب عن حرف الـــ(A) قال أنه سيفعلها ،

عندها انفرجتْ أسارير وجهي فرحاً ، لأن خطتي قد بدأت تنجح ، و لكن فرحتي لم تكتمل حتى استفقتُ صباحاً على صوت رنين هاتفي ، التقطتُ الهاتف و إذ كانت رسائل كثيرة من جواد :

- لماذا قلتَ لقمر بأنني خنتها ، أنا لم أخنها ، أنت كاذب

قلتُ له :

- تعال اليوم إلى منزلي

رميتُ هاتفي على السرير

- ألم أقل لك أنك ستوقع هذا المسكين يونس بمصائب كثيرة ،

ألم أقل لك لا تحب أسيل

قال قلبي بفظاظة :

- أصمت ، ليس لي علاقة بهذا ، جواد من خانه و يجب أن ينتقم منه
- اسمع يا يونس لا تصغي لقلبكَ ، بل أصغي لي ، أنتَ لم تصغي لي في حياتكَ ، عليكَ أن تثق بي هذه المرة

قلتُ لعقلي

- ماذا تريد أن تخبرني ؟
- يجب أن تتوقف عن حبّكَ لهذه الفتاة ، فقط عليكَ أن تتوقف عن سماع قلبكَ ، يجب أن تصبح أصمّاً من ناحية قلبكَ ، لا تجعل مشاعركَ و قلبكَ يؤثرانِ عليكَ

أجبتُ عقلي :

- حاولتُ التخلّي عنها و لكنَّها عكّازي في هذه الحياة ، على من يتكأ العجوز الأعمى ؟
- أنتَ لستَ عجوزاً و لستَ بأعمى ، أنتَ يونس
- لا أنتَ مخطئ ، أنا أعمى بقلبي ، إنَّ الحبّ أعمى ، لا أستطيع الاكتفاء منها ، فهي إن لم تكن بشراً فهي روح و إن لم تكن كذلك فهيَ شيءٌ يصعب أن أصفه لك

أشعر دائماً أنَّ الله عندما خلقنا خلقَ روحيْنا لتكون مجتمعةً في روحٍ واحدة

وهل هناكَ أجملُ من حبٍّ يجمعُ الروحينِ في روحٍ واحدة ؟

*** *** *** *** *** ***

بعد ساعة ، طُرِقَ الباب ، و إذ كان ذلك جواد ، أدخلتُه البيتَ قائلاً له :

- أحببتَ حبيبتي فأحببتُ أختك فكذبتَ عليها فها أنا أجهّز انتقامي لك من جديد

قال لي بعد أن بدتْ ملامح الصدمة على وجهه :

- هل تقصد أنّني أحببتُ أسيل ؟

- نعم ، و لا تحاول الكذب فأنا متأكد

قال باستهزاء محاولاً أن يُخفي توتره :

- و كيف عرفتَ يا فهيم زمانك ، هل الجن أخبروك ؟

و ضحك بعدها

قلتُ بكامل جِديَّتي :

- نعم الجن الذينَ قاموا بإخباري
- ماذا ؟! هل تستهزئ بي ؟
- لا ، أنا جاد
- لقد جُننتَ ، أظن أنكَ مريض

صرختُ عالياً :

- مِقلاااص ، تعال هنا

مرّتْ ثوانٍ دون أن نسمع إجابة

قال جواد :

- أرأيت لم يظهر أحد ، هل تريد إخافتي أيها السافل

عندها ركض نحوي يريد ضربي

ظهر مِقلاص أمام جواد و أمسك به من عنقه و قام برفعه عن الأرض :

- لا أحد يضرب صديقي أيها الحثالة ، هل فهمت ؟

قال جواد و هو يختنق :

- حـــ حســ. حسناً ، اتركني أرجوك

عندها أفلته مِقلاص من يده ، و سقط أرضاً و هو يرتجف من هول ما يراه أمامه ، ركض بعيداً بين ضحكاتي أنا و مِقلاص و لم أره مرةً أخرى ...

لا أعلم من الّذي جعل الناس ينظرون للجن على أنهم مخلوقات مخيفة و مؤذية ،

إنَّ الجن مخلوقاتٌ مثلنا ، خلقها الله لتعبده ،

و هم في الحقيقة يغسلون أطباقهم مثلنا و يتزوجون و يصلّون و يعملون و يبنون و يدرسون أيضاً

قال مِقلاص بعد أن هرب جواد :

- لماذا كان يريد ضربك ؟
- قصة طويلة
- إذاً أخبرني بها
- لديّ الآن عمل يا مِقلاص سأخبرك بها فيما بعد
- حسناً إذاً إلى اللقاء ، لست وحدك من لديه عمل

غمزني مِقلاص مع ابتسامة و ثم اختفى

دلفتُ إلى غرفة النوم و رميتُ بجسدي على السرير ، ثم غرقتُ في السواد ،

غرقت في اللاشيء في كلِّ ثانية تمُر أغرق أكثر فأكثر الذكريات تحيط بي ،

كلّما غاص جسدي هنا تزداد الذكريات عمقاً و ألماً .... اللاوعي .....

أظن أنني الآن غارق في اللاوعي .. جميع أفكاري و أحلامي و ذكرياتي تحيط بي .....

هل أنا أحتضر ؟

هل أنا أحلُم ؟

هل أنا مستيقظ ؟

حقاً أنا لا أعلم ....

استيقظتُ لأجد نفسي في سريري ...

رنَّ هاتفي برسالة ، فالتقطته و قرأتُ ما أُرسِل إلي

- هل تفاجأتَ بي ؟ لقد خدعتك و أخبرتُ جواد بكل شيء ،

والآن أنصحك أن تهرب إن لم تقابله بعد ، فإنَّ حبيبي سيقضي عليكَ

ضحكتُ على ثقتها الزائدة ، و قلتُ لها :

- نعم حبيبكِ جاء منذ قليل و بالفعل لم أتوقع أن يفعل هذا !!
- ماذا حدث أخبرني لأنّي متحمسة لأعلم كيف هُمِرتْ عليك لكماته
- حسناً سأخبركِ ماذا فعل
- ماذا هل أنت مُحرج أمامي ، قُل لي ماذا فعل بسرعة
- لقد هرب بعيداً بعد أن لقّنَه مِقلاص درساً
- مااااذا ، حبيبي لا يفعل هذا ، و من هذا مِقلاص حتى يضرب حبيبي
- هههههه مِقلاص ، إنه نفرٌ من الجن
- هل تمزح معي ، من هو مِقلاص أيها السافل ، أقسم أنني سأجعل أخي الكبير ينتقم منك و من مِقلاص هذا
- ماذا ستقولين لأخيكِ ، أنني ضربتُ حبيبكِ ؟
- أخي يعلم بحبي لجواد ، و سترى ماذا سيفعل
- قولي له أن لا يحاول أن يقترب منّي أو من مِقلاص
- لماذا ، هل أنت خائف ؟
- لا ، بل لكي لا يوفّر لمَلكِ الموت فرصة انتزاع روحه
- سأريك أيها الأحمق ، أنت و هذا الذي يُسمى مِقلاص

*** *** *** *** *** ***

بعد حلول منتصف الليل .....

كانت نسمات لطيفة ليليّة تتسلل من النافذة ، ارتطمتْ بعضها بوجه يونس النائم

استيقظ من نومه و شرب بعضاً من الماء ثم التقط هاتفه ، كانت هناك رسالة من أسيل :

- هل مازلت مستيقظ ؟
- نعم
- أين ستذهب غداً ؟
- لا أعلم
- إذاً ما رأيكَ أن نذهب مع عائلتيّنا إلى المزرعة ؟ .. فقد اشتقتُ لكَ كثيراً
- حسناً سأخبر أمي و أنتِ أخبري أمكِ
- حسناً ، إلى اللقاء ....

اتجه يونس نحو النافذة و وقف أمامها متأملاً عتمة الليل ، كان القمر بازغاً في سماء تسودها الظلمة

و النجوم اللامعة كان صوت حركة أغضان الأشجار جميلاً و مريحاً مع أوراقها الخضراء التي تتساقط متتالية وراء بعضها البعض .

نكتبُ ليلاً ما نريد الحصول عليه في الصباح .... و صباحاً نسعى جاهدين في سبيل تحقيق ما كتبناه

السؤال الذي يدور في ذهنك ، هل يونس يكتب الآن ؟

نعم إنه يكتب ما يريده

و ما الذي يريده ؟

أسيل .....

بعد تسع ساعات ، استيقظ يونس من نومه و استطاع أن يُقنع أمّه بالذهاب إلى المزرعة و راح يضع أغراضه في حقيبته ،

قال متمتماً :

- إني متشوق للقاء مجنونتي

انتهى من تحضير نفسه وأنزل أغراض عائلته بعد رزمات من الشتائم النابعة من فم أبيه وأمه .

صعد إلى سيارة التكسي مع عائلته و عائلة أسيل ، دعوني أعرّفكم على أهل أسيل

إياد ، و هو الأخ الأكبر

سامر ، و هو الأخ الأصغر من بعد نبيهة

نبيهة ، و هي الأخت الأصغر سناً

الخالة سلمى ، و هي أم أسيل

العم حسن ، و هو والد أسيل

طبعاً لم يكونوا محبّينَ لنا ، بل كانوا يُكنّون الكره لنا جميعاً ،

ولكن أسيل هي الوحيدة التي كانت تحبُّني ...

أحياناً لا تستطيع التعبير عما في داخلك ، فدائماً يتوقع يونس حصول أسوء الأمور

فكان خائفاً من أن لا يستطيع لقاء أسيل ، و ها هو الآن معها في ذات السيارة كان يتوقع أن تصطدم بهم سيارة في الطريق، و ها هم الآن وصلوا إلى وجهتهم بعد ساعة من وصولهم المزرعة ، كان إياد جالساً مع مصطفى و سالم ، و كانت أمي و الخالة سلمى تُعدّان طعام الفطور

بينما كان هؤلاء منشغلين ، كان هناك قلبان يتبادلان لحن نبضهما

الجسد جسدان ، و الروح واحدة ....

العقل عقلان . و القلب واحد ....

كانا جالسين تحت تلك الشجرة ، شجرة كبيرة ، شجرة مميزة ،

كانت بالنسبة للناظرين و المارّين عادية و لكن بالنسبة لهذيْن القلبيْن مميزة ،

لماذا هي في نظرهما كبيرة و مميزة إلى هذا الحد ؟

لأن قلبيْهما نبضا لبعضهما تحت تلك الشجرة منذ الصِغَر ، أحبّا بعضهما هناك

- هذه الشجرة تعجبني و أشعر براحة كبيرة عندما أكون تحتها معكَ

قال يونس لأسيل مبتسماً :

- نعم فهذه شجرة ذكرياتنا ، لا أستطيع أن اشعر بالراحة تحتها إلا معكِ

- يا ترى ما هو سر هذه الشجرة ؟

شردَ يونس قليلاً متأملاً السماء قائلاً بعد ثوانٍ من طرحها السؤال :

- هذه الشجرة جمعتْ بين قلبيْنا ، لقد احتفظتْ بسرّنا الصغير ،

لا أحد يعلم سرّنا إلا أنا و أنتِ و هذه الشجرة ، لهذا إذا اجتمعنا أنا و أنتِ تحتها فإننا سنشعر بشعور ممتزج بالراحة و الحب و المشاعر ، إنَّ هذه الشجرة شجرة حبنا

- و ماذا سنسميها ؟؟

شردَ يونس متأملاً وجهها ومن ثم السماء و قال ؛

- شجرة القلوب .....

بعد عدة ساعات ، عاد يونس هو و أسيل بعد أن حلَّ الليل إلى أسفل هذه الشجرة

قالتْ أسيل :

- هل لديك أشياء تخفيها عنّي ؟؟
- هناك بعض الأشياء وسأخبركِ إياها الآن
- حسناً أخبرني إياها الآن دون أن تنقص كلمة منها ، مفهوم ؟
- حسناً سأبدأ
- انتظر ، قبل أن تبدأ يجب أن أجلس جلسة مريحة فتحركتْ ببطء و رفعتْ يدي

وأسندتْ نفسها على صدري و لفّت يدي حول رأسها ، ما أجملها ، لهذا أحبُّها .....

- حسناً ابدأ الآن
- أولاً ، أنا أرى الجن و أتكلم معهم ، و هم أصدقائي الآن
- أوه هذا رائع

قالتْها بغير تصديق

- أقسم أنني أرى الجن و أتكلم معهم

عندها أخرجتُ هاتفي من جيبي و دخلتُ المعرض ،

و عرضتُ لها صوراً للجن من الكتاب الشيطاني (العزيف) ،

إنها بالفعل صور حقيقية لهم .. نظرتْ للصور و قالتْ :

- حسناً أنا أصدقك

سمعتُها تقول في نفسها باستهزاء (يرى الجنَّ قال)

أنا أعلم أنها لا تصدقني ، و لن تصدقني ،

أنزلتُ رأسي و أنا أناظر الأرض و على وجهي ظهرت ملامح الحزن

كانت نسمات الليل باردة فعلاً و لكنّ الحزن حوَّل شعوري بالبرد إلى شعور الذي يتجمد

أشعرني بأنني وحيد ، أشعرني بعدم وجود أسيل في حضني ، أشعرني بعدم وجود أيّ إنسان بجانبي

حسناً كما تريد أنا لن أجبرها على أن تصدقني ، نظرتُ جانبي فوجدتُ ظلّاً طويلاً بين الأشجار ،

ظلّاً يقف بعيداً دون حراك يراقبنا ،

مِقلاص .....

إنه مِقلاص يقفُ بعيداً بين الأشجار و على وجهه نظرةُ حزن ،

لقد شعر بي ، شعر بصديقه ، لقد عَلِمَ أنني لا أشعر بالدفيء ،

إنَّ الجن سمع آذانهم قوي و قد سمع الحديث الذي دار بيني و أسيل ،

و عَلِمَ أنها لم تصدقني ، فحزِن عليّ لأنَّ الفتاة الأقرب إليّ في هذه الدنيا لم تصدّقني ،

فمن الذي سيصدّقني ؟

الجن مثلنا يحزنون و يفرحون و ليسوا بمخيفين كما يعتقد المجتمع ،

و مِقلاص حَزِنَ لحزني ، حتى إن كان من الجن فهو (صديقي)

انتهت هذه الليلة و لم أذكر لها جواد و عن خيانتها لي معه بسبب كذبه ،

أنا أعلم أنها خُدِعتْ بكذبه الملغوم و أنا لن أُذَكِرَها بهذه القصة لأنَّني لا أريد إحزانها

*** *** *** *** *** ***

بعد عشر سنين .....

يونس

عمري الآن 25 سنة و الحمد لله أنهيتُ دراستي في الجامعة منذ سنة

و تخرجتُ و أصبحتُ طبيباً مختصّاً بالقلب

وكذلك أسيل ستنهي دراستها في الجامعة بعد سنة من الآن وستصبح طبيبة مختصّة بالأطفال.

الحمد لله أن عيادتي ناجحة جداً ، و صار اسمي معروف في عالم الطب .

ذهب يونس الساعة التاسعة صباحاً بسيارته السوداء إلى عيادته ،

ألقى التحية على (السكرتير) الخاص بالعيادة

طبعاً لأن أسيل لم تسمح له بأن يحضر سكرتيرة ،

جلس على كرسيّه الدوّار و في يده فنجان القهوة الذي أعدّه السكرتير ،

حينها قال في نفسه:

- اليوم أصبح عمر حبّي لأسيل أكثر من 18 سنة وأظن أنه حان الوقت لكي أذهب

و أطلب يدها للزواج

- سيدي هناك مريضان يريدان أن يدخلا

- حسناً صالح، أدخلهما ... بعد ساعات ،

عاد يونس إلى المنزل و انتظر حتى اجتمع أمه و أبيه في الغرفة ،

و فاتحهما بالذي يدور في عقله :

- أريد أن أطلب يد فتاة

قالت أمي بفظاظة:

- من هي ؟؟

- أسيل

قالت أمي بقسوة وصراخ:

- ماااااااااذا **!!!**

- أحببتها منذ الصِغَر وأريدها زوجةً لي

قالت أمي في مكر و قسوة :

- لن أدعكَ تتزوجها مهما حدث

- لمااااذا

- أنا لا أحبها

أنا أعلم في قرارة نفسي أنها لا تريدني أن أتزوجها لأني أحبّها

فكانت أمي طوال حياتي تريد لي الأذى وتُكنُّ لي الكره

ولكنّي أقسم أنني لن أدَع أحداً يكون حاجزاً بيني و بين أسيل

خرجتُ من المنزل بانزعاج كبير وسط صرخات و شتائم والديّ

صفقتُ الباب بغضب و ركبتُ سيارتي و قُدتُ بتهور و سرعة من غضبي و حزني ،

و بالنسبة لمِقلاص

فآخر مرة رأيته فيها منذ 7 سنوات ، لا أعلم لماذا لم يظهر مرة أخرى ،

يا ترى هل مات ؟

بعد تفكيرٍ طويل قرَّرتُ أن أذهب وحدي و أقوم بطلب يدها من أبيها ،

و بالفعل حدَّدتُ موعداً معهم دون أن يعلموا سبب مجيئي

هل سيوافقوا ؟

هل سأخرج من عندهم خائب الأمل ؟

هل ستتزوج أسيل غيري؟

هل من المعقول إذا رفضوا زواجي منها أن تقبل بغيري ؟

هذه الأسئلة كلها نابعة من نفسٍ تعشق نفساً أخرى ، إنه (الهُيام) ،

هو العشق الزائد ، العشق بجنون ، العشق حتى الموت

بعد ساعات طرقتُ الباب و أنفاسي تتسارع ، فتح لي العم حسن (والد أسيل)

- أهلاً بك ، تفضل

دلفتُ إلى غرفة الجلوس

كانت هناك الخالة سلمى

- مرحباً بك يونس ، تفضل بالجلوس

جلستُ على الأريكة و أنا لا أعلم من أين أبدأ ،

لا أعلم كيف أبدأ فأنا لم أرَ طوال حياتي شخصاً و هو يطلب يد محبوبته من أهلها

جلس العم حسن جوار الخالة سلمى قائلاً :

- كيف عملك ، هل يسير بشكل جيد ؟

قلتُ بتوتر :

- نـــعـ نـعم

- إذاً لماذا طلبتَ مقابلتنا سريعاً و قلت أنه أمرٌ هام ؟

- في الحقيقة أنا هنا ، أنا هنا لكي أطلب يد أسيل للزواج

سكتْ قليلاً ثم قال :

- حسناً ، و لكن لماذا لم يأتِ و الدك أو والدتك ؟

عندها لم أعلم ما أقول فقلتُ :

- في الحقيقة لم يوافقا على زواجي منها ، و لكن أنا الذي سأتزوجها و ليس هما

- لا أعلم ما أقول لك ، ولكن لا أستطيع ان أزوجك ابنتي هكذا

- إذاً ؟؟

- أنا لست موافق ، لقد طلب يدها ابن عمها عثمان منذ ساعات

عندها شعرتُ كأنّي انتقلتُ في الزمن و تلقيتُ عذاب قوم لوط

عندما رفع الله أرضهم و قلبها عليهم فسُحِق كلُّ من عليها

هززتُ رأسي دون أن أنطق بكلمة ، لم يَعُد الكلام مفيداً الآن ،

فقد حدث الآن الذي كنت أخشى و أخاف طيلة سنوات عمري أن يحدث

وقفتُ على قدميَّ بصعوبة فساقيَّ كانت ترتجف بشدة ،

مشيتُ حتى الباب و قمتُ بفتحه و خرجتُ بملامحي الحزينة البادية على وجهي

الآن لقد خرجتُ فاقداً الأمل

ركبتُ سيارتي و لكنّي لم أشغلّها ، كانتْ الساعة 11 مساءاً

في وسط الظلمة تحت عامود الإنارة الوحيد كانت سيارتي

تقفُ هناك أمام بيت أحبّ الناس إليّ ، كانت تقف هناك حزينة

على صاحبها الذي يمكث داخلها ممسكاً بيديه المقود و مسنداً جبينه عليه

كان يمر شريطٌ من الذكريات داخل رأسه ، ذكرياته مع

أسيل ..... عندما كانت تبكي فاحتضنها بحنان و رفق .....

عندما قبّلها أول مرة في حياته تحت شجرة القلوب .....

عندما اعترف لها بحبه .....

كان تائهاً حقاً ، تائهاً وسط هذه الظلمة ، لا شيء سوى الظلمة ،

لا شيء سوى هو وحزنه و شريط ذكرياته

كانت تتردد على مسامعه جملة أبيها له (أنا لست بموافق)

لم يعلم أين يذهب ، لم يعلم ماذا يفعل شغّل سيارته و انطلق إلى مزرعتهم ،

عندما وصل نزل من السيارة و أغلق الباب و ذهب ناحية شجرة القلوب ،
استلقى تحتها، تحت أغصانها الكثيفة ، كانت نسمات الليل تداعب وجهه لتخفف عنه ألمه ،
كان التراب يحتضن كل دمعة تسقط عليه من يونس بعد دقائق من النشيج و البكاء ،
بدأتْ تخرج من فمه بعضُ الأبيات الشعرية اللاإرادية ، فقال :

ذكرتُها و سنينها الوِفاقْ
أيامَ كنّا نخشى الفِراقْ

أيامَ قالتْ هل يوماً خنتني
فوعدتُها وعدَ مشتاقْ

و هذي السنونُ قد مرّتْ
و كُتبَ عليها لغيري العناقْ

و غابَ الحُب و اشتعلَ حنينهُ
و جاءَ الشوقُ بدمي المُراقْ

و القلبُ قد أُدمى من دمعهِ
و ذكرى ما فارقت الخفاقْ

إنَّ الفِراقَ لَـيقتلُ مُحبّاً

أوفى يوماً بوعدِ عُشّاقْ

اذكري يوماً كنتِ دمي ، و قالوا
الآنَ مجنونٌ هوَ إنهُ معاقْ

خلدتُ غيبوبتي و الدمعُ يجري
بينَ ضلوعي تحتَ الخفاقْ

و اخترتِ الجفاءَ فأنكرتِ
وعداً و أحببت لحبّنا النفاقْ

غطَّ يونس بين أحضان النوم .....
استيقظ صباحاً بسبب أشعة الشمس الدافئة ، دلف إلى بيت المزرعة و التقط هاتفه و قام بقراءة الرسائل التي أُرسلتْ من أسيل
- لم أكن أتخيل أن يرفض أهلك الزواج بي
ردَّ يونس :
- حاولتُ فعل الّذي أستطيع فعله ، طلبتُ يدكِ من أبيكِ فرفض
- لا ، أنتَ تستطيع أن تفعل أكثر من هذا
و أردفتْ :

لا أريد أن تنتهي قصة حبنا بهذه الطريقة ،

إنَّ ابن عمي قد طلب يدي قبلك للزواج وعندما سألني أبي عن رأيي

فإنّي قد رفضتُ الزواج منه ، و لكن أبي غضب منّي و قام بضربي ضرباً قاسياً

و أجبرني على أن أوافق على طلب ابن عمي

- هل توافقين أن نهرب سوياً و نتزوج ؟

بعد تردد قالتْ :

- سأذهب معك إلى المريخ إن كنتَ تريد
- اليوم احزمي أغراضكِ و انتظريني عند الساعة 2 بعد منتصف الليل
- حسناً ، سأحاول أن أخرج من المنزل دون أن يشعر أحد بخروجي

أغلق يونس الهاتف و أجرى عدة اتصالات مع عدة مكاتب عقارات ، و بعد بحث طويل عن بيت تناسب صفاته ما يدور في باله

استطاع أن يستأجر بيتاً يتألف من أربع غرف و بعيد عن مدينتهم .

*** *** *** *** *** ***

الساعة الواحدة بعد منتصف الليل .....

شغّل يونس سيارته و اتجه لبيت أسيل ، وصل بحدود الساعة الثانية

نزلتْ أسيل بهدوء من على الدرج و صعدتْ بسرعة سيارة يونس

انطلق يونس بسرعة متجهاً إلى المنزل الذي استأجره

- أين سنذهب ؟

- لقد استأجرتُ منزلاً بعيداً عن هنا
- في الحقيقة أنا أشعر بالخوف من ردة فعل عائلتي عند معرفتهم بهروبي معك
- لن يحدث شيء ، سأحميكِ مهما كلف الأمر

هزَّتْ رأسها إيجاباً مع ملامح التوتر البادية على وجهها

قال يونس محاولاً أن ينسيها خوفها :

- ما رأيكِ أن أُسمعكِ قصيدةً كتبتها لكِ ؟

قالتْ :

- حسناً .. أنا أنصت

شردَ يونس و هو يبحث في ذاكرته عن قصيدة جميلة قد كتبها لها .. فقال :

- لاقيتُها في منامي بعدَ فراقنا
و الروحُ لوجهِها و لكفّها تطيب

فسائلتُها عن نورٍ في وجهِها
فغدَتْ تضحكُ و أسألُ و تجيبُ

رويّتُ روحي من عسلِ شفاهها
و ما أجملَ حلماً يأتيهِ حبيبُ

فاستأذَنَتْ بذهابها و الروحُ اشتعلتْ
بنيرانِ شوقٍ ما لهنَّ لهيبُ

فتلاشى وجهُها و غدَتْ كسرابٍ
و ما أقسى حلماً ينهيهِ نديبُ

فقَبلتُ فراقَها و قَبلتُ بنارِها
فـلكلِّ شمسٍ طلعةٌ و مغيبُ

و أردفَ بعدها :

- ضفائرٌ تتدلى على ظهرها

و القلبُ يذوبُ بجنونِ غرامكِ

إلى صدري رفعتُها عن أرضها
قلتُ قبلةً أريدُ فما قراركِ

ضحكتْ و قالتْ طلبكَ حرامٌ
فقبّلتها هامساً أعشقُ حرامكِ

و قال بعدها :

- هل تذكرين قصّة هذه القصيدة؟

قالتْ :

- نعم ، و كيفَ لي أن أنساها ، أنا لا أنسى لحظةً واحدة أمضيْناها سوياً

ضحكَ يونس و اقترب منها و قبَّل يدها و قال لها :

- لا تقلقي لن يمسَّكِ أحدٌ بسوء

فقالتْ :

- ركّز إذاً بقيادتكَ أيُّها الرومانسي
- حسناً ، أمركِ مولاتي الصغيرة

*** *** *** *** *** ***

بعد دقائق وصل يونس إلى وجهته

و ركنَ سيارته أمام المنزل .. كان المنزل ليس بذاك المنزل الكبير .. و كان طابقاً واحداً ، اقتربا من بابه الحديدي فأخرج يونس مفتاحاً كان يلبثُ في جيبه و فتحَ الباب و دلفا إلى المنزل ، بدأ المنزل بممر ممتد أمامهم و على يسارهم يوجد مطبخٌ متوسط الحجم أما عن يمينهم فوُجِدَ حمّامٌ بجانبه غرفة الخلاء تقدَما قليلاً في الممر و وصلا إلى غرفة كانت في آخر الممر على يسارهم ، دلفا إليها فكانت تحوي أرائك و شاشة تلفاز و مروحةً متوسطة الطول

قالت أسيل :

- يبدو أنها غرفة الجلوس
- إذاً غرفة النوم يجب أن تكون الغرفة التالية

فنظرا إلى ورائهم فوجدا غرفة فدخلاها بعد أن علما أنها غرفة النوم ، كانت تحوي سريراً كبيراً و كل ما يمكن أن يلزم غرفة للنوم ، بدَّلا ثيابهما إلى ثياب النوم ، أطفئ يونس ضوء الغرفة ،

و استلقى على السرير و تَبعَتهُ أسيل و ألقتْ نفسها فوق جسده

غطّى جسده و جسدها بلحاف دافئ و ضمّها إلى صدره و انضم لهم النوم

استيقظا على صوت رنين هاتفيهما ، كان المتصل على هاتف

يونس هو والده ، و كان المتصل على هاتف أسيل هي أمها

- ماذا أفعل يا يونس ؟؟
- ارفضي المكالمة
- حسناً لقد فعلت

اتصل يونس على والد أسيل :

- أيها السافل لقد خطفتَ ابنتي
- اسمع يا عم ، أنا لا اريد الدخول بهذا النوع من المشكلات و لكن أنت أجبرتني ،

إذا كنت تريد ابنتك فعرسنا سيكون قريباً عندها سأسمح لها بزيارتكم

- أيها الحقير
- لا تخف أسيل في مأمن ولستُ من النوع الذي يحب فعل الحرام

عندما تفكر في موافقتك على زواجنا عندها سأفكر في أن يكون عرسنا في المدينة

أغلق يونس الاتصال

- ماذا قال والدي لك ؟
- لا تقلقي ثقي بي و حسب
- لو كنتُ لا أثق بك لما هربتُ معك

طبعتُ قبلةً على خدّها وأعددنا الفطور سوياً

بعد ساعات قليلة جاء اتصال من والد أسيل

- حسناً أنا موافق على زواجكما
- حسناً إذاً ، العرس بعد يومين من الآن
- يومين ؟! ولكن هذه مدة قصيرة جداً
- إذا كنت تريد أن تبقى ابنتك بعيدة عنك فليس لدي مانع
- حسناً حسناً العرس بعد يومين

جلبتُ رجل دين وعقدنا قراننا أخيراً

*** *** *** *** *** ***

المساء الساعة التاسعة ليلاً :

دلف يونس غرفة النوم فوجد أسيل جالسة على السرير وعلى خدّها خط من الدموع

اقترب منها قائلاً :

- ماذا بكِ ، هل أنتِ بخير يا عزيزتي ؟

تابعتْ بكاءها و لم يسمع جواباً منها

جلس بجانبها و احتضنها و هو يشُدّها إلى السرير لتستلقي في حضنه ،

غطّى جسديهما باللحاف وغرقا بالنوم بعد أن علمَ أنها لا تريد الحديث بالأمر و إنما حضناً دائفاً يأويها

أحياناً لا نعلم أحزاننا ، نبكي دون أن نعلم سبب بكاءنا ... ربما يحدث هذا من كثرة الأفكار الحزينة المتخبّطة داخل رأسنا مما يجعل الحديث عنها أمراً مستحيلاً و إنما نحتاج و بشدة إلى حضن و ذراعيّ محبوبنا لننام بصمت شاعرين بالأمان الذي نحتاجه ....

اليوم التالي :

فتح يونس عينيه بهدوء فوجد أسيل لا تزال نائمة وهي تعانقه

طبع قبلة على جبينها

قالت و هي تكادُ لا تستطيع فتح عينيها :

- يونس ، هل استيقظت ؟

ردّ يونس :

- هل أنتِ مستيقظة ؟

قالت :

- الآن استيقظتُ

- هيّا ألا تريدين أن نذهب إلى الغرفة المجاورة ؟

قالت و هي تشدُّ عليه العناق و تُلصق رأسها أكثر بصدره :

- لا ، أريد أن أبقى هنا معكَ

قال و هو يداعب شعرها بيده :

- حسناً كما تريدين .....

*** *** *** *** *** ***

بعد يومين....

كان هذا اليوم الذي انتظرناه أنا و أسيل من سنين طويلة

اليوم هو عرسنا أنا وهي، بدأ العرس وبدأت الموسيقى تَرُج صالة الحفلات ،

كنا جالسين أنا و أسيل على كرسيَّين في آخر القاعة ، همستُ في أذنها

- اليوم أصبحتِ وأخيراً أميرتي ، اليوم أصبحتِ ملكي وحدي ضحكتْ بخجل واستحياء

بالتأكيد لا أستطيع وصف توتري و أنا أرى عشرات الأشخاص من نساء و رجال و أطفال ينظرون إليّ ، فأنا لي الحقيقة لم أكن محبّاً للحفلات و الأعراس و لم أذهب لعرسٍ منذ أن كنتُ في الخامسة

بعد وقت قصير حان وقت رقصنا أنا و أسيل و لكنّي كنتُ أتمنى في تلك اللحظة لو أنهم عدَّلوا على عادات الأعراس و حذفوا رقصة الزوجين فيه ، كنت متوتراً جداً و لا أعلم ماذا عليّ أن أفعل و كيف يجب أن أتحرك لكيلا يكون مظهري مضحكاً فأنا حقيقةً لم أرقص في حياتي

لاحظت أسيل التوتر الظاهر على وجهي فأمسكت بيديّ و وضعتْهما على خصرها و وضعتْ يديها على كتفيّ و اقترب وجهها منّي و قالت :

- لم يعد هناك شيء نخافه .. أنتَ لي و أنا لك ، تحرّك معي فقط و لا تفعل شيئاً سوى أن تحدّق بعينيّ

حدّقتُ بعينيها البنيّتين الجميلتين و لم أرفع بصري عنها ، و فجأة صفّق الجمهور لنا و تفاجأتُ عندما قالت لي أسيل أنّني أدّيتُ أداءاً جيداً فابتسمتُ لها و قبّلتُ عينيها ....

حان وقت خروجنا من الصالة لنركب السيارة التي ستوصلنا إلى منزلنا

فخرجتُ من باب صالة الحفلات و مددتُ يدي لأسيل و هي تخرج

قلتُ لها :

- هيّا إلى بيت أحلامنا و عشُّ زواجنا و حبّنا
فابتسمت و وضعتْ يدها على فمها بخجل

و بينما كنتُ أساعدها على المشي بفستانها الأبيض

أُطلِقتْ رصاصة بجانبي من العدم ،

نظرتُ نحو الاتجاه الذي أتت منه ، فلم أرى غير سيارة سوداء تقترب منّا ....

عندها شعرتُ أنَّ فرحتنا لن تكتمل اليوم

وصلتْ إلينا فخرج منها خمس مسلّحين ، تقدّم أوسطهم و يبدو أنه القائد

ورفع القناع الأسود الذي كان يغطي وجهه ،

صُعِقتُ عندما وجدتُ أنه جواد ليس إلا

- عُدتُ الآن لكي أنتقم منكَ بعد هذه السنين ، سأسلب منك أغلى ما لديك

عندها ركض باقي مساعديه إلينا ، وضع أحدهم على رأسي مسدسه عندما حاولتُ أن أضرب باقي المسلّحين عندما رأيتهم يأخذون أسيل أمام عينيّ و هي تبكي و وضعوها داخل السيارة ،

قلتُ :

- في ليلة زفافي أيها السافل !!!!!

- لم ترَ شيئاً بعد

صعد جواد وهؤلاء السفلة إلى السيارة و انطلقوا بعيداً ،

ركبتُ سيارتي و حاولتُ اللحاق بهم و لكنهم كانوا قد ابتعدوا كثيراً عني

حتى أصبحتُ لا أستطيع رؤيتهم

عُدتُ إلى المنزل وأنا قلبي يكاد أن يتوقف لشدة خوفي على أسيل من هؤلاء الحثالة

هل أحسستَ من قبل بهذا الإحساس ؟

إحساس أن تعود لبيتك خاسراً زوجتك وعائلتك الذين وقفوا ضدك وخاسراً قلبك

سجد يونس وهو يبكي ببدلة عرسه السوداء، رفع يديه وبدأ بدعاء الحيّ الذي لا يموت ،

لجأ إلى الّذي تلجأ إليه كلُّ المخلوقات ، حتى الذرات الصغيرة في جسده تلجأ لهذا الرب العظيم

(إنَّه الله) .....

و لمن ستلجأ في موقف كهذا إلى غير الله ؟

لم ينَم الليل ....

لو لم يتدخل جواد في تلك اللحظات لكانت الآن تنام جانبه ، تنام بين ذراعيه ،

تنام ضامّة يونس إليها ، عندها يحققان حلمهما بالنوم سويةً جنباً إلى جنب

تحت ذات اللحاف مرتاحيْن أنَّهما الآن قد تزوجا

أخذ يلوم نفسه على محاولته الانتقام من جواد في سنين مراهقته

فقال و الدموع تتسابق على وجهه :

سرتُ إليكِ كاتماً أسى

و القلبُ أعلمُ ما سرَّ و ما هوى

رغمَ بعدِ عينيكِ عن ناظري
سأبقى متيّماً بحبكِ أنا

و استقبلتِ بدرَ السماءِ بوجهكِ
فخجلَ القمر ثمَ دنا

و شبّهكِ بالضيا حينَ نزولهِ
و قد عنى بقولهِ ما عنى

و غبتِ عنّي ليالي عدةً
فخرجتْ الروحُ و غابَ السنا

و بين نواحه و هو يلقي أبياتاً شعرية
رنَّ هاتفه ، هرع مسرعاً إلى هاتفه الّذي كان مستلقياً على الطاولة في غرفة الجلوس ،
كان هناك رقم غريب يتصل

- الو
- أهلاً ببطلنا يونس
- جواد أيها السافل دعْ أسيل و شأنها

- إذا كنتَ تريد زوجتك فاذهب إلى قرب محطة الوقود التي في الساحة الشمالية و سلّم نفسك لي
- حسناً
- طبعاً عليك المجيئ في الساعة الثالثة صباحاً أي بعد منتصف الليل
- حسناً حسناً أيها الحقير
- لا تحاول إعلام أي مخلوق أو إعلام الشرطة ،

تعال لوحدك لكي تَسْلم زوجتك من أيدينا

أغلقتُ الهاتف بغضب

- أرجوا أن تكوني بخير .....

بعد ساعات من اتصال جواد بيونس ....

ركبَ يونس سيارته واتجه نحو المنطقة المتفق عليها وصل هناك ركنَ سيارته

إلى جانب الرصيف و خرج من سيارته ، فجأة ظهر خمسة أشخاص مسلّحين ،

وألصقوا فوهات أسلحتهم برأسه ، لم يخف على نفسه بل كان خائفاً على أسيل ....

جرّوه نحو سيارة كبيرة و أركبوه إياها ، انطلق السائق بسرعة

بينما أخرج واحدٌ منهم شريطاً أسوداً و وضعه فوق عينيّ يونس و قام بربطه

بعد دقائق توقفتْ السيارة و فُكَّ الشريط الأسود عن عينيه ،

أنزلوه من السيارة و هو مقيّد إلى مكان ما في البرية ، كان هناك بيت كبير أمامه

و لكنه كان من الداخل شبه مدمّر ، دفعوه إلى داخل المنزل و صعد بعدها درجاً

حتى وصل إلى غرفة كبيرة كانت بها أسيل مربوطة بعمود من خشب ،

بينما كان جواد يجلس على كرسي في آخر الغرفة و قال بحقد و استهزاء :

- في إحدى المرّات قلتَ لي يا يونس أنَّ أسيل هي عكّازك و ها أنا الآن سلبتُ منكَ هذا العكّاز،

فهل لكَ أن تخبرني ماذا يحصل للأعمى عندما نسلب عكّازه منه؟

فأجاب يونس بكل غضب :

- عندها تشتعل نيران الغضب في رأسه خاصة مع إعلامه بأن عكّازه مربوط بعمود أمام ناظريه بفعل شخص سافل عديم الشرف !!

قام جواد من مقعده يستشيط غضباً

- جرّوا هذا السافل إلى أمامي

فعلوا كما أمرهم جواد

- اجعلوه يركع لي بالقوة

قاوم يونس بكل طاقته ولكن كان الضاغطون عليه للركوع خمسةُ أشخاص تقدَّمَ جواد إلى أمام يونس و قام بلكمه بقبضته على وجهه ، نزف الدم من أنف يونس ،

أطلق يونس رزمات من الشتائم وتلقى لكمة أخرى من الحقير الذي أمامه

ربطَ جواد يونس على العمود في الجهة الخلفية من أسيل

و صبَّ بعض المواد القابلة للاشتعال فوق العمود، ثم جلب عود كبريت وقام بإشعاله و قال بحقدٍ و كرهٍ بالغ :

- سأحرقكما حتى الموت

بدأتْ أسيل تبكي خائفةً فقال يونس :

- لا تقلقي ، على الأقل سنموت معاً

و مدَّ يده و شبكها بيدها
فقالت :

- حتى و إن حَرَقنا لن يتمكن من حَرق حبّنا الّذي نما داخلنا و لا قصتنا الّتي بنيْناها معاً ، يداً بيد .. قلباً لقلب

قاطعهم جواد صارخاً :

- انتهت قصتك الآن أيّها العاشق

أغمض يونس عينيه متمنيّاً من الله إنقاذه

عندها رمى جواد بعود الكبريت على العمود و سال خيطٌ سريع من النار الّتي على رأس العمود إلى آخره ، وسط ضحكات جواد الشريرة أُخمِدَتْ النار

صاح جواد

- كيف أُخمدتْ النار ؟؟!!

مرّتْ لحظات من الصمت ، الجميع يُحدّقون ببعضهم البعض دون حراك .

كان يونس يقول ماذا يحدث ، كيف لهذا أن يحدث .. نارٌ تُخمد دون تدخلٍ منّا !

بين لحظات الصمت هذه وُلِدَتْ دوّامة من نار في منتصف الغرفة

فجأة ظهر فيها مخلوق طويل ذو أجنحة ، يكسو جسده لونٌ أحمر و فيه شيءٌ من أثرٌ من الأسود

مظهر لم يرَه جواد إلا مرة واحدة في عمره

- مِقلاااااص !!

انفرجت أسارير وجه يونس عندما رأى صديقه القديم من الجنّ

بينما كانت أسيل مصدومة من المشهد الّذي تراه عيناها

- ألم أقل لكَ سابقاً لا أحد يؤذي صديقي ؟

هجمَ بسرعة الضوء ممسكاً بعنق جواد يرفعه عن الأرض وسط

هيجان نيران أسلحة المسلّحين التابعين لجواد على مِقلاص

ضرب مِقلاص الجنود بجسد جواد العالق بين أصابع كفّه

و بدأ بعصر عنق جواد بيده ، ثم أسقطه أرضاً بقوة كان جواد عندها يحاول استنشاق أنفاسه

ركض ثلاثة من المسلّحين ناحية مِقلاص بنار أسلحتهم الّذي كان يُضرَب على نفر الجن هذا ولكن لم يكن الرصاص يؤثر فيه

ضربَ بجناحيه الأرض مسقطاً الجنود مع بعض النزيف من الرأس

أمسك بجواد واقترب من النافذة التي كانت بجانبه وأخرج جسد جواد منها وهو ممسكٌ بعنقه قائلاً

- أظن أنك تحب السباحة في الهواء أم ما رأيك أن تجرّب الطيران لعلّه يكون لديك أجنحة لم تكتشفها بعد

مع العلم أن الكلاب ليس لديها بالعادة

قال جواد مختنقاً :

- لا لا أرجـ أرجوك أفلتني

- حسناً ها أنا أُفلِتكَ

أفلتَ مِقلاص جسد جواد يسقط من النافذة ليهبط على الأرض ميتاً

استدار مِقلاص إلى يونس و تقدَّم نحوه

و حرّر صديقه يونس وعكّاز صديقه

- أين كنت طوال هذه السنين ؟!

- إنها قصة طويلة ، سأقصّها عليك بعد أن نعود للمنزل

أمسك مِقلاص بأسيل بيّد و يونس بالأخرى ، و ضرب بجناحيه الأرض مُحلّقاً بين الغيوم ، كاسراً بطيرانه جزءاً من السقف .....

كان بالفعل مشهداً رائعاً وجميلاً من هذا الارتفاع وخاصة أنك لست على متن طائرة بل يحملكَ نفر من الجنّ !!

قالتْ أسيل في نفسها :

- لم أصدّق في حياتي ادعاءات يونس بأنَّه يرى الجن ولكن الآن أنا فَرِحة

لأنّه كان صادقاً معي وخائفة من هذا المخلوق الذي يحلّق بنا

مرّت طائرة بجانبهم ، نظر الناس من الشبابيك مذهولين

تخّيل نفسك تركب طائرة على ارتفاع 2773 متر عن سطح الأرض و ترى مخلوقاً من النافذة

يطير و يحمل بيديه أسفل جناحيه فتاة بثوب زفافها و شاب ببدلة عرسه السوداء

نعم هو شيء غريب و لكن عالم الحب يحدث فيه المستحيل .....

أوصلَهما مِقلاص إلى المنزل

- هيا عليكَ أن تدخل معنا و تقصّ عليّ سبب اختفاءك
- لا ، اليوم هو الأول لزواجكما ، يجب أن تقضيا هذا الوقت سويةً
- حسناً و لكن عليك العودة إلى هنا ، لا تغيب عنّي مرة أخرى
- حسناً أعِدك أنّي لن أغيب مرة أخرى

ودّع الزوجين مِقلاص وراح يحلّق مبتعداً في السماء

التفتَ يونس إلى زوجته و شبكَ يده بيدها ودخلا غرفة النوم

جلست أسيل على السرير وجلس يونس جانبها ، نظر لها بعينين تلتمع بهما الدموع

- بعد أكثر من 18 سنة أصبحتِ لي

نظرتْ أسيل إليه بحنان وخجل فقام يونس بضمّها إليه

- الآن لن يفرقنا إلّا الموت

هذه الجملة قالها يونس وهو يتمنّى في قلبه أن يموتا معاً

في اليوم التالي انهمرتْ عليهم الزيارات من الأقارب والأصدقاء مبارِكين لهم

خرج يونس من المنزل متجهاً إلى عيادته عندها سمع الحوار الذي يدور داخله

- ما رأيك أن يُنشئ يونس مستشفى كبير بطابقين ، الطابق العلوي له والطابق السفلي لأسيل إذا تخرجتْ من جامعتها طبيبة ؟
- هذه أول مرة تطرحُ عليَّ فكرة جيدة أيها القلب
- وهذه أول مرة تقول لي أنّي طرحتُ عليكَ فكرة جيدة أيها العقل

قال يونس في نفسه نعم سأجعلها مفاجأة لها

القلب والعقل دائماً يختلفان في رأيّهما ولكن هناك لحظات يستطيع العقل أن يفهم القلب فيها والقلب كذلك ، فيصنع أحدهما فكرة والآخر يقوم بالتعديل عليها فتُخلَقْ أفكارٌ لا حدود لجمالها

بعد أشهر كان يونس حاملاً كيساً من التفاح وآخر من الموز دالفاً منزله

عندما ركضت أسيل نحوه بفرح و قالت

- هل علمتَ بالأمر ؟
- ما هو ؟
- لقد تخرجتُ طبيبة أطفال
- ماذا !!

ضمّها بفرح شديد ، إذ كان مشفاه الذي بدأ بالعمل عليه منذ أشهر يكاد ينتهي

والآن حان الوقت لكي يخبرها بالأمر و لكن ليس الآن بل بطريقة أخرى

حلّ الليل .....

كان يونس يجلس في غرفة الجلوس على الأريكة يشرب فنجاناً من القهوة مع أسيل

فجأة ظهر مِقلاص

- لقد وعدتني أن لا تغيب كثيراً
- آسف ولكن الآن جئتُ لأخبرك سبب غيابي

- حسناً أنا أسمعك
- في ذلك اليوم الذي كنت أراقبك أنت وأسيل به في المزرعة
بين الشجيرات عدتُ لمنزلي وهناك أخبرتني زوجتي
أن حرباً بين قبيلتي و قبيلة أخرى من الجن قد قامتْ
عندها هرعتُ لبيت سيد قبيلتنا وهناك أخبرني بأن الأمر خطير
لأن القبيلة التي ضدنا قوية جداً ومعروفٌ عنها أنها من أقوى القبائل ،
شاركتُ بالحرب دون تردد لأنّي لا أريد أن أكون جباناً
و ذات ليلة هُوجمنا غدراً ، كانت أعدادهم تفوق أعدادنا
قُضي على جميع من في قبيلتي ولكنّي الوحيد الذي استطاع أن يهرب بعد أن أحرقوا منازلنا
و كل شيء يخصّنا حتى جثث جنودنا لكي لا يبقى أي أثر لنا ، و كأننا لم نَكن يوماً في هذه الحياة
وعدتُ نفسي أن أنتقم منهم على ما فعلوه بقبيلتي وأصدقائي وعائلتي
عندها اختبأتُ بين الجبال واخترتُ كهفاً من الكهوف الكثيرة الّتي هناك بيتاً لي
فبقيتُ سنين كثيرة أجمع أفراداً من الجن وأخبرهم بقصتي
لكيّ ينضموا لي لشنّ هجوم عليهم و إبادتهم
أصبح عددنا خلال سبع سنوات أكثر من أربعين ألف نفر من الجن
عندها حدّدنا ساعة معيّنة من الليل لشَنّ الهجوم
وبالفعل هجمنا و حاصرناهم من جميع الجهات و بدأنا نحرق بيوتهم و متاجرهم
حتى وصلتُ لسيدهم
- من أنت ؟
- أنا نفر من قبيلة بني دهمان التي أحرقتها و قتلت كلَّ من فيها إلا واحد

- هل تقصد أنك استطعت الهروب !!
- نعم و الآن و دّع هذه الحياة أيها الحقير

عندها ضربتهُ بمخلب حديدي وهو سلاح يُستعمل لدينا في الحروب

إذ هو مثل مخالب الأسود و لكن أكثر طولاً

مات على الفور لأن الضربة كانت في رقبته

وبعد أن حققتُ انتقامي الّذي حلمتُ به لسنوات ، بدأنا نبني وطناً لنا ،

وتزوجتُ وأنجبتُ أطفالاً بأعداد كبيرة وأصبح كل من حارب معي يتزوج من هؤلاء الأطفال

بعد أن يكبروا لكيّ يصبح من قبيلتنا فنحن الجن نكبر بسرعة و نعيش بأعمار طويلة

وهكذا بقيتُ طيلة السنوات الثلاث الأخرى أُرجع إحياء نسل قبيلتي ، قبيلة بني الدهمان .....

- إنك بالفعل أقوى مما كنت أتخيل

*** *** *** *** *** ***

بعد شهر ، ركبَ يونس سيارته وأخذ بأسيل التي يغطّي عينيها شريط أسود متجهاً إلى المستشفى الّذي أصبح جاهزاً ، فقالت له :

- ما رأيك أن ألقي قصيدة قد كتبتُها لكَ أنا ريثما نصل إلى وجهتنا

قال :

- حسناً ، أنا أصغي إليكِ

قالت :

- صوتُ أميري غيرَ كلِّ الأصواتِ
و كلماتهُ أحلى مِن كلماتِ الخيالِ
نطقَ بصوتهِ الرائعُ أحبُّكِ
فتلعثَمتِ الحروفُ عندي

و أصبحتُ لا أجيدُ الكلماتِ
فصوتهُ الجميلُ يهمسُ في مسمعي
فأقول
أعجزُ عن وصفِ حبّي لكْ
حتى و إن كتبتُ عشرَ سنينٍ أُخرياتِ
يا مَن تملكُ بصري و سمعي و فؤادي
أحبُّكَ في كلِّ اللغاتِ

في الواقع انصدم يونس ، لم يتوقع بالنسبة لإنسانة ليس عندها خبرةٌ بالشِعر أن تستطيع نظم معاني و قوافي جميلة كهذه
فقتل لها منبهراً :

- لقد صدمتني
- لماذا
- إنها جميلة جداً

أنزلت رأسها بخجل
فأردفَ يونس :

- أريدُ تقبيلكِ الآن و بـشدّة
- عندما نعود للبيت عندها أنا سأقبّلكَ

وصلا إلى المستشفى ففتح لها الباب و ساعدها بالنزول من السيارة و هو يقول :

- هيّا يا شاعرتي الصغيرة

و من ثم فكَّ هذا الشريط عن عينيها

- افتحي عينيكِ
- ما هذا !!
- إنه المستشفى الخاص بي وبكِ ، أنا سأقوم بتدبير شؤون الطابق العلوي وأنتِ الطابق السفلي

ضمّته بفرحة عارمة على وجهها

- أحبُّكَ ، بالفعل أنا أحبُّكَ يا يونس

طبعَ قبلةً على خدّها برفق و دلفا المستشفى سوياً

- إنّه بالفعل جميل
- لقد سميّته مشفى أسيل للطب

اقتربتْ أسيل من وجهه ونظرتْ في مقلة عينيه ومن ثم طبعتْ قبلة على شفاه

- أنا متيّمٌ بحبكِ
- وأنا كذلك

بعد أشهر أصبح هذا المشفى من أشهر المستشفيات الّذي يُشرف عليه مئات الممرضين والأطباء ومن بينهم الطبيب يونس الذي يقوم بجميع العمليّات القلبية

و أسيل التي تقوم بمعاينة الأطفال الصغار وإعطائهم الوصفات الطبية المناسبة لعلاج مرضهم

كانتْ حياتهم تسير بشكل جيّد و لكن .....

عاد يونس إلى المنزل ووجد زوجته قد جاءت قبله

قالت له

- أريد الطلاق

سكتَّ من شدة الصدمة ثم قال

- هل أنتِ بخير ؟
- أنا بكامل وعيي
- لماذا ، هل بدرَ منّي شيء سيئ ؟
- أنتَ لا تهتم بي
- أنا !!!!

- نعم أنتَ
- لقد بنيّتُ مستشفى أعمل فيه معكِ في نفس المكان وحتى اسمه سميتهُ على اسمكِ
- هذا لا يكفي
- ماذا تريدين أيضاً ؟ ، هل تريدينني أن آخذكِ إلى القمر ؟
- أنتَ الذي يجب أن تعلم ما أريد و ليس أنا
- أنا حقاً لا أعلم ما تريدين منّي
- رأيتكَ كيف نظرتَ إلى تلكَ المريضة
- كلّ يوم تأتيني عشرات النساء المريضات ، كيف لي أن أتذكر منهم امرأةً بعينها

اشتدّ الشجار بينهما فقالت له أسيل وهي تصرخ

- أكرهكَ يا يونس أنا أكرهك

سكتّ يونس بحزن و صدمة ، ثم راح يمشي في الممر حتى وصل باب البيت

ومن ثمّ فتحه و خرج بهدوء دون أن يتفوّه بحرف واحد

نَدِمتْ أسيل بعدها بثوانٍ على تفوّها بهذه الحماقات .

*** *** *** *** *** ***

الساعة الواحدة بعد منتصف الليل .....

كان يونس يمشي بهدوء وحزن على الطُرقات ويستمع إلى الحديث الذي يدور داخله :

- ألم أقل لك أنها لا تحبُّكَ
- لا إنها تحبني وأنا متأكد

- أنت من سيتسبب بدمار حياة يونس أيها الضعيف

- يونس بخير وأنا متأكد أنها لا تكرهه

تخيّل أيها القارئ أن شخص أحببته أكثر من 18 سنة و ضحيّت بكل ما تملك حتى عائلتك لأجله يقول لك في نهاية المطاف (أكرهكَ)

ما هو شعورك في ذاك الوقت ؟

نعم ستتحطم ، و أنا واثق أنك ستلوم نفسك على كل ما فعلتَه لأجله

أحياناً يجدر بنا أن نحسب ألف حساب قبل أن نتفّوه بكلمة حمقاء قد تدمر حياتك و حياة محبوبك

تذكرَ يونس عندها أبيات شعر أبو تمام التي يقول فيها :

نقّلْ فؤادكَ حيثُ شئتَ من الهوى

ما الحبُّ إلا للحبيبِ الأولِ

كمْ منزل في الأرضِ يألفه الفتى

وحنينُه أبداً لأولِ منزلِ

•• أبو تمام

كل لحظة في حبك الأول هي أجمل لحظات حياتك ،

لا أعلم ما هو الفرق بين أول حب و الثاني و لكن هناك شيء يجعلك تحنّ لأول محبوب لك ، ذكرياتك معه تبقى محفورة في الذاكرة ، شيء يجعلك تعشق حروف اسمه و إن كسر قلبك آلاف المرات ... صدقني ستبقى تحبّه إلى الأبد

راحَ يشاهد جميع ذكرياته معها ..... عندما أُصيب يونس بحادث

و بقيتْ أسيل بجانبه طوال الوقت ترعاه .....

عندما شعرتْ أنه حزين ضمّته لصدرها مع أنهم كانا منفصليّن عن بعضهما البعض في ذلك الوقت

تذكرَ حين قالتْ له قبل عشر سنوات (أنا بجانبكَ وإن كان العالم كله ضدك حتى إن كنا مفترقَيّن)

إنها حنونة ، إنها طيّبة ذو قلب أبيض و لكن أحياناً يفعل الإنسان ما لا يستطيع تبريره

ننام لنستيقظ في يوم آخر و نقابل ذات الأشخاص و نذهب إلى ذات الأماكن و نتكلم ذات الكلام

ثم نموت هذه هي سُنّة الحياة .....

أين سيذهب يونس في هذا الوقت ، لِمَن يلجأ في هذه الحال

نعم

إلى شجرة القلوب .....

ركبّ يونس سيارته و اتجه إلى المزرعة ، عندما وصل ركض مسرعاً ليختبئ في أحضان

هذه الشجرة نام تحتها و كانت التربة تحضنه لكي تحميه من البرد ،

و الشجرة كانت تنحني مع أوراق أغصانها لكي تحجب عنه الهواء البارد

نعم إن للشجرة روح مثلنا ، هي مثلنا كائن حيّ و لكن ليس لديها حقوق خاصة

فهل سمعتَ من قبل عن سَجن إنسان لأنه قتل شجرة ؟

طبعاً لا ، الشجرة ثابتة في مكانها و لكنها تُحسّ و تسمع و تشعر و ترى ،

تحب و تكره و تشتاق و تموت و تحيا

لم تحتضنه أسيل هذه الليلة بل احتضنته الشجرة .....

عاد لمنزله صباحاً ، وجد أسيل نائمة لم تذهب لعملها بعد ، دلف إلى المطبخ

و حضّر كأساً من الشاي و جلس على أحد الكراسي بعد ساعتين و نصف ..

استيقظتْ أسيل و دلفتْ بعدها غرفة الجلوس لتجد يونس نائماً على الأريكة

اقتربتْ منه و جلستْ جانبه و هي تداعب شعره بهدوء

- يا ليتني لم أتفوّه بهذه الكلمات الحمقاء

استيقظ يونس بتعب و نظر لأسيل ثم قال لها :

- ماذا تفعلين هنا ؟

- أنا آسفة يا يونس ، لم أكن صادقة عندما قلتُ لك أنّي أكرهك

- لقد طلبتِ الطلاق

- أنا آسفة حقاً

ضمّته إليها و استلقتْ بجانبه ، أصبح يونس يشعر بأنفاسها الدافئة التي ترتطم بوجهه

- أنا حامل

قفز يونس من مكانه

- ماذا !!

- البارحة كنت عند الطبيب و قال لي أنّي حامل

انفرجتْ أسارير وجهه وراح يضمّها إليه وهو يقبلّها

- ماذا سنسميها ؟

- هل هي أنثى ؟

- لا أعلم و لكنني أشعر بذلك

قال يونس بعد تفكير طويل

- ليلى

- إنه اسم جميل ...

بعد أشهر ....

- كيف هي الآن يا أيها الطبيب

- لقد تمّت عملية الولادة بنجاح

دلف يونس بسرعة لداخل الغرفة التي فيها أسيل النائمة

- لقد جاءت ليلى إلى هذه الحياة

هذا ما قاله في نفسه

ما أجمل أن ترى طفلتك التي أنجبتها أمها التي أحببتها لسنوات

حملَ يونس ليلى بين يديه و قد ضوى بريق بعينيه :

- إنكِ تشبهين أمكِ .....

*** *** *** *** *** ***

بعد عدة سنوات ....

كتب يونس العديد من القصائد الشعرية الجميلة و كتب العديد من الكتب و الروايات

و قد اشتهر بـــ :

رواية (بلاد ما وراء الجليد)

و رواية (ضائع في اللامكان)

و رواية (فحوى المقابر)

و كتاب (واقعك الخيالي)

و ديوان (أيا قمر)

و ديوان (حنايا مهجتي)

وأصبح لديه مكتبة كبيرة في منزله و اشتهر بطريقته الجميلة للتعبير عن المشاعر في كتبه

و أسلوبه سهل الفهم كانت هناك الكثير من القصائد التي تعبّر عن حبه لزوجته

و الكثير منها كان يتغزل بجمالها ، أصبح عمر ابنته ليلى خمسة عشر سنة ،

أما ابنه إلياس فعمره ثلاثة عشر

بعد أيام مرضتْ أسيل بمرض خطير يُصيب القلب والمشكلة أنَّه لا يوجد علاج لهذا المرض

أيّ أن ساعاتها أصبحت معدودة لتلتقي ملك الموت

سهر يونس الليالي بجانبها ، يُمسك يدها ، يعتني بها ، يضمّها إليه

كان خائفاً عليها جداً ، خائفاً أن يفقدها ، لقد تمنّى قبل سنوات أن يموتا سوياً

- بسبب حبها لي أصبحتُ شاعراً .....

بسبب حنانها عليّ أصبحتُ كاتباً .....

بسبب تشجيعها لي أصبحتُ طبيباً .....

بسبب بقاءها معي أصبحتُ أباً .....

هل هذه نهاية حبهما ؟ .....

حاولَ يونس كثيراً إيجاد علاج لمرض أسيل بما أنه طبيب مختصٌ بالقلب و لكن كل أبحاثه و محاولاته باءت بالفشل .. أسيل مريضة ، أيّ أن عكّازه مريض و هذا يعني أنّه مريض أيضاً فهو مستندٌ عليها فماذا سيحصل إذا كُسر العكّاز ؟

يوماً بعد يوم كانت حالة أسيل تسوء و معها تسوء حالة يونس ...

لقد تمنّى حين زواجهما أن يموتا معاً ، و لكن يبدو أنَّ هذا الأمر لن يحصل

في صباح أحد الأيام ، كان يونس الّذي يُسند رأسه على سرير أسيل نائماً من شدّة تعبه و سهره حينها سمع زوجته و هي تنادي باسمه قفز من مكانه و قال لها :

- أنا هنا ، أنا هنا يا عزيزتي

- أشعر بقرب النهاية

- نهايتنا هي الموت سوياً ، أحببنا بعضنا و ضحيّنا لأجل حبّنا و تزوجنا و أنجبنا و الآن حان وقتنا لنموت معاً يا أسيل

- يونس أنا حقاً أُحبّكَ

- و أنا أيضاً ، أنا أعشقكِ يا أسيل

أغمضتْ عينيها و قالت بتعب :

- وداعاً يا يونس ....

أمسك يونس رأسها باكياً و هو يقبّله و يهزه صارخاً :

- أسييل ، أسيييل ، أرجوكِ استيقظي ، أسيل ، أرجوكِ لا تتركيني ، أسيييييييل .....

اجتمع أولاده و بناته فَزِعين من صوت أبيهم

كان يبكي كالطفل وهو يضمّها إلى صدره ويصيح باسمها ما هذا الحب العجيب !!

بعد دفن أسيل و بعد عزاءها بقيّ يونس في غرفته ، لا يأكل و لا يشرب ،

يبكي فقط و ينام أصبح وجهه شاحباً و ضَعُفَ جسده كثيراً

*** *** *** *** *** ***

ليلى :

كنتُ دائماً أسمع صوت بكاءه ليلاً حين أستيقظُ لشرب الماء أو لقضاء حاجة

سمعته مرّة يقول باكياً :

- (يا الله قلبي ينفطر خُذني إليك)

فعلاً الحب شيء عظيم ، يونس العجوز أحبَّ زوجته منذ أن كان صغيراً
و حارب أهله لأجلها و فعل المستحيل حتى تزوجها و الآن فقدها .....
لن يهدأ هيجان روحه حتى تتحرر من غلافها وتنطلق بعيداً
إلى من كلّف كلّ ذرة داخل جسده في حبها .....

*** *** *** *** *** ***

ليلى :

استيقظتُ صباحاً وأعددتُ الفطور لإخوتي وجلسنا على طاولة الطعام كالعادة
دون أبي لأنَّه لن يستجيب لطلباتنا للمجيئ و تناول الطعام ،
اعتدتُ سماع صوت حركة في غرفته و لكن هذه المرة تأخر الوقت و لم أسمع ولا حتى أدنى حركة له ، فتحتُ باب غرفته بهدوء فوجدته واضعاً رأسه على الطاولة بين يديه و غارقاً في نومه كدتُ أغلق الباب لولا أنّي لاحظتُ أن عينيه مفتوحتان !!!
هرعتُ نحوه بسرعة و تفحصّته جيداً و لكن كان الأوان قد فات إنّه مفتوح العينين
و لكن لا يرى عالمنا هذا ، كانت تعلو وجهه لأول مرة منذ أن ماتت أمي ابتسامة فوق شفتيه كأنّه وجدها ، كأنّها أتت إليه و اصحطبتهُ معها
لاحظتُ و أنا أبكي و أصرخ قلماً بين أصابع يديه ، حينها رفعتُ رأسه فوجدت كتاباً .....
لا بل هي رواية .... رواية كان يكتبها أبي في آخر أيام حياته
رواية كان عنوانها

..... (شـــجـــرة القلـــوب) .....

تَـــمّـــت